# مقاصد القرآن الكريم في بناء وتنمية حضارة الإنسان
# "الكرامة الإنسانية نموذجا "
# دراسة تطبيقية


**إعداد**

**أ.د/ حامد محمد حامد عثمان**

**أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية الشريعة والأنظمة**

**جامعة الطائف**

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فمما لاشك فيه أن من أعظم معطيات الوحى الإلهي تجاه بناء حضارة الإنسان ونهضتها؛ الاهتمام البالغ بقضايا حقوق الإنسان عموما، والعناية بحق كرامته على وجه الخصوص، فكانت مقصدا رئيسا من مقاصد الذكر الحكيم، وأن منح الكرامة الإنسانية حقٌ واختصاصٌ إلهي منحه الله تعالى للإنسان من حيث هو إنسان–باعتباره أحد دلائل القدرة الإلهية خلقا بيديه وإبداعا من العدم، ونفخ فيه من روحه نسبة إليه جمالا وجلالا، وأحد أركان الحضارة ومنظومة العمران في الأرض تكليفا وتشريفا– بقطع النظر عن أي صفات أخرى تحوم حوله قال تعالى:"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ "الإسراء:٧٠، وأن قيمة الكرامة الإنسانية في التشريع الإسلامي عموما قيمة محورية وحجر أساس ترتكز عليه كل مشروعات التنمية والبناء الحضاري للإنسان، فلا إيمان في التصور الإسلامي الصحيح بدون كرامة، ولا حرية بدون كرامة، ولا عدالة بدون كرامة، ولا مسؤولية بدون كرامة ...الخ، ومن ثم فهي أساس لكل قيم الخير والفضيلة الفردية والجماعية. وإزاء هذه القيمة الجوهرية للكرامة الإنسانية في الحقل الإسلامي، فلابد من تحرير الآراء والتصورات الناضجة حول قضاياها.

ومن هنا تأتي أهمية الكتابة في هذا البحث الموسوم بـ "مقاصد القرآن الكريم في بناء وتنمية حضارة الإنسان –الكرامة الإنسانية نموذجا– دراسة تطبيقية " مؤمِّلا أن يحقق الأهداف التالية :

١- الوقوف على أهم مقاصد القرآن الكريم العامة، وموقع الكرامة الإنسانية منها.

٢- تحرير مفهوم ودلالات الكرامة الإنسانية في ضوء النصوص القرآنية.

٣- التأكيد على أهمية الرعاية القرآنية للكرامة الإنسانية وحمايتها من خلال حفظ الضرورات الخمس.

٤- بيان مدى الارتباط الوثيق بين رعاية حقوق الإنسان عموما والكرامة الإنسانية خصوصا وبين مستوى التقدم الحضاري.

٥- التأكيد على وثاقة الارتباط بين المبادئ الإسلامية والكرامة الإنسانية.

**منهج البحث:**

وطبيعة هذا البحث تقتضي أن نسلك فيه المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل للنصوص القرآنية واستنباط المقاصد المعنية بالكرامة الانسانية .

**خطة البحث:**

هذا وطبيعة البحث تقتضي تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة:وفيها أهمية البحث، وأهدافه، ومنهجه، وخطته، والدراسات السابقة.

التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات البحث.

وتحته مطالب:

المطلب الاول: المقاصد القرآنية وعلاقتها بالكرامة الانسانية.

وتحته فروع:

الفرع الأول: مفهوم المقاصد القرآنية.

الفرع الثاني: علاقة المقاصد القرآنية بالكرامة الإنسانية.

المطلب الثاني: مفهوم الحضارة.

المطلب الثالث: مفهوم الكرامة الإنسانية ا لغة واصطلاحا.

**المبحث الاول: دلالات الكرامة الإنسانية في القرآن والسنة.**

**وتحته مطالب:**

المطلب الأول: الدلالة القرآنية لمصطلح "الكرامة الانسانية.

المطلب الثاني: دلالات الكرامة الانسانية في السنة النبوية.

**المبحث الثاني: الكرامة الانسانية وعلاقتها بالمبادئ الاسلامية في ضوء القران الكريم وتحته مطالب:**

المطلب الأول: علاقة الكرامة الانسانية بالحرية.

المطلب الثاني: علاقة الكرامة الانسانية بالعدالة.

المطلب الثالث: علاقة الكرامة الانسانية بالمسؤولية.

**المبحث الثالث: الكرامة الانسانية وحماية الكليات الخمس في ضوء القرآن الكريم وتحته مطالب:**

المطلب الاول: الكرامة وحماية الدين.

المطلب الثاني: الكرامة وحماية النفس.

المطلب الثالث: الكرامة وحماية العقل.

المطلب الرابع: الكرامة وحماية العرض.

المطلب الخامس: الكرامة وحماية المال.

الخاتمة: وفيها خلاصة البحث ونتائجه والتوصيات.

الدراسات السابقة والدراسة الحالية.

انطلاقا من أدبيات البحث العلمي التي تنص على أن الدراسة الحالية لابد وأن تتقاطع جوهريا مع الدراسات السابقة نقول: لا توجد دراسة تطبيقية مستقلة عنيت بالبحث عن مقاصد القران في بناء حضارة الانسان"الكرامة الإنسانية

نموذجا" ولكن توجد أبحاث ومقالات منشورة على الشبكة العنكبوتية تحمل عنوان الكرامة الانسانية وهي على النحو التالي:

١- بحث كرامة الانسان إحدى مقومات البناء الحضاري الاسلامي لإبراهيم سليمان عيسى وهو بحث منشور ضمن اصدارات المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بمصر العدد ٣٦ عام ١٤١٩ هـ وهو بحث أصيل وجاد في اسلوبه وعرضه، ولكنه يختلف عن دراستنا الحالية من حيث الأسلوب ومنهج الدراسة وأهدافها وخطة البحث، وقد جاءت الدراسة فيه نظرية بحتة فضلا عن عنايته في جل البحث بإجراء دراسة مقارنة في حقوق الانسان بين الاسلام والاعلان العالمي، بينما دراستنا الحالية دراسة تطبيقية وصفية قائمة على الاستقراء والتحليل والاستنباط من آي الذكر الحكيم لمعاني الكرامة الانسانية ودلالتها، ومع هذا فلا شك أنه بحث مفيد وشديد الصلة ببحثنا الحالي ومن ثم فهو يصلح أن يكون مرجعا مهما في الدراسة الحالية.

٢- بحث الكرامة الانسانية في ضوء المبادئ الاسلامية لعبدالعزيز التويجري وهو ضمن منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "إيسسكو" الطبعة الثانية عام ٢٠١٥ م وهو بحث قيم ومتميز في أسلوبه وعميق في طرحه ومنهجه، ولكنه يختلف عن دراستنا الحالية من حيث الأسلوب ومنهج الدراسة وأهدافها وخطة البحث؛ فقد جاءت الدراسة فيه يسودها الجانب النظري وإن كان أحيانا يعرج على الجانب التطبيقي لكن بنسبة محدودة، والمهم أنه عني في بحثه ببيان علاقة الكرامة الانسانية ببعض المبادئ الاسلامية، بينما دراستنا الحالية دراسة تطبيقية وصفية قائمة على الاستقراء والتحليل والاستنباط من آي الذكر الحكيم لمعاني الكرامة

الانسانية ودلالتها، ومع هذا فلا شك أنه بحث مفيد جدا وشديد الصلة ببحثنا الحالي ومن ثم فهو يصلح أن يكون مرجعا مهما في الدراسة الحالية.

هناك مقالات متقاربة في المضمون على الشبكة العنكبوتية تحمل عنوان الكرامة الإنسانية أهمها:أ-مقال للكاتب/أحمد مليجي بعنوان:"مفهوم الكرامة الإنسانية وتأثيرها في التنمية المجتمعية[1] ب- مقال بعنوان: مفهوم الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم لمحمد محفوظ[2] ج- مقال للكاتب/ ربيع خليفة بيومي بعنوان " الكرامة الإنسانية وأثرها في البناء الحضاري"[3] والمقالات الثلاث لا تعدو أن تكون مجرد دراسات نظرية بحتة بعيدة عن الجانب التطبيقي، فضلا عن تخليها عن المنهجية العلمية المتبعة في الابحاث الأكاديمية، بينما دراستنا الحالية دراسة تطبيقية وصفية قائمة على الاستقراء والتحليل والاستنباط من آي الذكر الحكيم لمعاني الكرامة الانسانية ودلالتها ، ومع هذا فلا شك أنها مقالات مفيدة جدا وشديدة الصلة ببحثنا الحالي ومن ثم فهي تصلح أن تكون مراجع مهمة في الدراسة الحالية.

هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١. على موقع : واتا ( الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب ) http://www.wata.cc/forums/showthread.php

٢. على موقع : ( منتدى الكلمة للدراسات والابحاث ) http://www.kalema.net/v1/?rpt=971&art

٣. على موقع : ( مجلة حراء العدد ٤٩ ) http://www.hiramagazine.com

**أولا: التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات البحث وتحته مطالب:**

**١.المطلب الاول: المقاصد القرآنية وعلاقتها بالكرامة الانسانية. وتحته فروع:**

**أ. الفرع الأول: مفهوم المقاصد القرآنية .**

بالبحث والتحري في معاجم اللغة عن مادة (قَصَدَ) تبين أنها ثرية جدا، بل ومتطورة ،فهي في أصلها كما يقول ابن فارس: " تشتمل على أصول ثلاثة: أحدها: إتيان الشيء وأَمِّهِ. والثاني: اكتناز الشيء، ومن هذا الباب إصابة الشيء وكسره. والثالث: اسم للناقة القصيد: أي الممتلئة لحما"[١]. ومع كثرة تناولها في اللغة صارت تستعمل كما يقول ابن منظور في: "استقامة الطريق ، وفي سهولته، وبمعنى الوسط ، وبمعنى العدل ، وبمعنى الاعتماد ، وبمعنى تجاه الشيء...وغيرها"[٢].مما يدل بوضوح على تطور هذه المادة وثرائها واتساع دلالاتها.

بيد أن المعنى المراد للمقاصد هنا من تلك المعاني اللغوية هو المعنى الأول وهو إتيان الشيء وأَمِّه، وهو يدل على معنى الاعتزام والتوجه نحو الشيء وإرادته. و(المقصِد) موضع القصد، و(المقصَد) الوجهة[٣].

والمقاصد اصطلاحا: عرفها العلماء بتعاريف عدة وكان من أبرزها وأجمعها تعريف الطاهر ابن عاشور بأنها: "المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع، أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص

١. ابن فارس ، احمد بن زكريا "مقايس اللغة" القاهرة ، ط دار الحديث ٢٠٠٤ م ط١ ٩٥/٥ مادة قصد.

٢. ابن منظور، جمال الدين " لسان العرب "بيروت ط دار صادر (د.ت ) ٣٦٤٢/٥ مادة قصد.

٣. ابن منظور ( مرجع سابق ) ٣/ ٣٥٢ وانظر : الحليبي ، فيصل بن سعود " مقاصد المكلفين عند الأصوليين " الرياض ، مكتبة الرشد ،٢٠٠٩ م ص ٢٧ .

من أحكام الشريعة "[١]. وعرفها الريسوني بأنها: "الغايات التي وضعتها الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"[٢]، ويلاحظ هنا مدى قوة الارتباط والعلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي.

وأما "مقاصد القرآن" فلا نجد من العلماء من عني بوضع حد ما في تعريف هذا المركب لكن هناك إشارات واضحة تدل عليه عند أهل العلم، فالمركب الوصفي (المقاصد القرآنية) يقصد به عند البقاعي:" مغزى السور القرآنية الذي ترجع إليه معانيها ومضامينها"[٣].

وقد وضح الفراهي ضابط المقصد الذي يسميه عمود الكلام بأنه:" جماع مطالب الخطاب فإليه مجرى الكلام ، وهو المحصول والمقصود منه ،فليس من أجزائه الترتيبية، ولكنه كالروح يسري فيه، وربما يحسن إخفاؤه فلا يطلع عليه إلا بعد استيفاء الكلام والتدبر فيه "[٤].وجاء هذا اللفظ عند العز بن عبد السلام في مواضع عدة من كتابه القواعد، كقوله: "ولو تتبعنا مقاصد ما في الكتاب والسنة، لعلمنا أن الله أمر بكل خير، وزجر عن كل شر، فإن الخير يعبر به عن جلب المصالح ودرء المفاسد، والشر يعبر به عن جلب المفاسد ودرء المصالح"[٥]، وقد ذكر هذا المصطلح أيضا ابن عاشور في مقدمات التحرير والتنوير –المقدمة

---

١. ابن عاشور ، مُحَمَّد الطاهر " مقاصد الشريعة الاسلامية " تحقيق مُحَمَّد الميساوي ، عمان، ط دار النفائس ٢٠٠١ م ص ٢٥١

٢. الريسوني ، احمد " نظرية المقاصد عند الشاطبي " الرياض– ط ونشر الدار العالمية للكتاب الاسلامي ، والمعهد العالمي للفكر الاسلامي ط ٤ ١٤١٦ هـ، –١٩٩٥ م ص ١٩

٣. البقاعي ، نظم الدين " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، بيروت ط دار الكتاب الاسلامي ١٤٠٤ هـ ١٩٩٥ م ١/١٥٥

٤. الفراهي ، عبد الحميد " دلائل النظام " الهند ط المطبعة الحميدية ١٣٨٨ هـ ص ١٦ .

٥. ابن عبد السلام ، العز " قواعد الأحكام في مصالح الانام " تح محمود التلاميذ الشنقيطي ، بيروت ط د ار المعارف ١/ ٧

الرابعة– فيما يكون عليه غرض المفسر، حيث قال: "فغرض المفسر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتمّ بيان يحتمله المعنى، ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن"[١].وعرفها عبد الكريم الحامدي بقوله: "مقاصد القرآن هي الغايات التي أنزل الله القرآن لأجلها تحقيقًا لمصالح العباد"[٢].

ويفهم مما سبق أن مقاصد القرآن هي: الحِكَم والغايات التي نزل القرآن الكريم لأجل تحقيقها –في البشرية عموما وفي الأمة الإسلامية خصوصا– جلبا للمصالح ودرءاً للمفاسد، كما هو مفهوم من السياق العام للقرآن الكريم ومن معظم سوره على وجه الخصوص.

**ب– الفرع الثاني : علاقة المقاصد القرآنية بالكرامة الإنسانية .**

في هذا الإطار يجدر بنا أن نستعرض التأطير النظري للمقاصد القرآنية عند ابن عاشور، حيث يضعنا أمام رؤية جديدة في التعامل مع المقاصد القرآنية، تبين لنا من فلسفتها إمكانية تصنيف الكرامة الإنسانية ووضعها في إطار مقاصدي قرآني جديد، فقد شمل تنظيره للمقاصد تقسيمات المقاصد العامة والخاصة والجزئية، وهو بذلك يضعنا أمام رؤية جديدة في التعامل مع المقاصد القرآنية يمكن وصفها بالشمول والعموم لمناحي المقاصد المختلفة[٣]. وفيما يلي بيان لرؤيته فيما يعنينا هنا مما يتعلق بالمقاصد العامة:

---

١. ابن عاشور ، مُحَمَّد الطاهر " التحرير والتنوير " تونس ط دار السداد التونسية ٥٤/١

٢. الحامدي ،عبد الكريم " مقاصد القرآن من تشريع الأحكام " بيروت ط دار ابن حزم للطباعة والنشر ط١٢٠٠٨ م ص٢١ .

٣. قائد، نشوان عبده خالد "دور الاستقراء في إثبات مقاصد القرآن الكريم عند الطاهر بن عاشور" اطروحة دكتوراة مقدمة الى قسم الدراسات القرآنية بكلية معارف الوحي والعلوم الانسانية –الجامعة الاسلامية العالمية بماليزيا ص ٩ .

**أولًا: المقاصد القرآنية العامة:**

يرى ابن عاشور أن المقصد الأعلى من نزول القرآن هو تحقيق الصلاح على المستوى الفردي، والجماعي، والعمراني، حيث يقول: "إن القرآن أنزله الله تعالى كتابا لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم، قال الله تعالى:" وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ "النحل:٨٩، فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية"[١].ويفصل ذلك في موضع آخر فيقول: "المقصد العام من التشريع هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه، وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاحه صلاح عقله وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه" ، ولذا يتضح لنا أن المقاصد القرآنية العامة عند ابن عاشور تتمثل بالأغراض الكلية الحاصلة من مجموع ما جاء في القرآن من أحكام، وتشمل: تحقيق الصلاح الفردي، و الاجتماعي والعالمي.[٢]

وانطلاقا من هذا التأطير العلمي المميز نقول: فحيث إن كرامة الإنسان هبة إلهية وفيض رباني، أنعم به رب القدرة والجلال تفضلا وتحننا على الإنسان، حيث خلقه بيديه من عدم، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته...الخ، ومن ثم فهي تعتبر مكوّن أصيل في الوجود الإنساني وماهيته[٣]، وترتبط أشد الارتباط بقيمته وكيانه الذاتي المتحقق في قوله تعالى"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ

---

١. ابن عاشور ، مُحَمَّد الطاهر "التحرير والتنوير " مرجع سابق ٣٨/١

٢. قائد، نشوان عبده خالد "دور الاستقراء في إثبات مقاصد القرآن الكريم عند الطاهر بن عاشور" اطروحة دكتوراة مقدمة الى قسم الدراسات القرآنية بكلية معارف الوحي والعلوم الانسانية –الجامعة الاسلامية العالمية بماليزيا ( مرجع سابق ) ص ١٠ وما بعدها .

٣.النمر، السيد حسن العبد الله، ورقة عمل بعنوان " قيمة الكرامة بين الفهم البشري وبصائر الوحي" مقدمة إلى المؤتمر الدولي بعنوان ( قيمة الكرامة آفاقها التشريعية وتجلياتها الإنسانية رؤية قرآنية) مقال على شبكة الانترنت:https://wamazati.blogspot.com

فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا"الإسراء:٧٠، إذن فلابد وأن تندرج هذه القيمة المحورية وهذا الكيان السائد ضرورة تحت المقصد العام من التشريع وهو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو الإنسان، حيث إن الإنسان هو أحد الأركان الأساسية الثابتة[1] لبناء الحضارة والعمران عموما، والتي تبنى كما أقره العلماء على(الإنسان، والكون، والحياة)، فهو عمود الاستخلاف قال تعالى:"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً "البقرة:٣٠، ومفهوم الخليفة، يوضح تمام الوضوح استقلال الإنسان وحريته في التصرّف على الأرض، كما أنه يعني انتماء الجماعة البشرية إلى محور واحد وهو المستخلف وهو الله سبحانه وتعالى، ويعني إقامة علاقات اجتماعية على أساس العبودية المخلصة لله تعالى وتحرير الانسان من عبودية الطاغوت، ويعني تجسيد روح الأخوة في كل العلاقات الاجتماعية وتمكين معنى التكافؤ في الحقوق والكرامة الانسانية[2]،وهو مناط العمران قال تعالى:" هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا "هود: ٦١ ،أي طلب منكم عمارتها وبناء الحضارات عليها بالعلم المختص به ذوي العقول البصيرة وهم بنو الإنسان مما يعكس في الذهن إمكانيات الإنسان الهائلة، وتمكنه

١. هذا التقييد بالثبات يقصد به الاحتراز عما يراه بعض العلماء من أن أركان الحضارة الاساسية هي : الإيمان والعلم والعمران وهذا اتجاه صحيح ومهم جدا في التنظير لأسس الحضارة بلا شك لكن على اعتبار ان هناك أسسا ثابتة لاتتغير بتغير الدين والفكر وهي: الانسان والكون والحياة ، بينما هناك أسس تتغير بتغير الفكر والدين وهي ما ذكرناه ، ومن المهم جدا لإقامة حضارة حقيقية حصول الجمع بين هذين الاتجاهين .انظر: زرمان ،محمد " وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم "( مرجع سابق) ص ٢٧ وما بعدها.

٢. العضراوي ،عبد الرحمن "مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي" بيروت ،ط مركز نماء للبحوث والدراسات ٢٠١٥ م ص ٩٢ وما بعدها. وانظر: الصدر ،باقر "خلافة الانسان وشهادة الانبياء" بيروت ط دار التعارف ١٩٧٩ م ص ١٠ وما بعدها .

من معرفة جميع الموجودات والقوة المتفاعلة في دائرة خلافته، والتي جعلت تحت تصرفه في حياته الرسالية، وهو محل الأمانة والتكليف قال تعالى:"إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً"الأحزاب:٧٢. ومهما كان تفسير الأمانة، ديناً أو معرفةً أو ولايةً أو شرف مسؤولية... مهما كان ذلك، فاختصاص حملها بالإنسان تكريم له وإشادة بمقامه العظيم. ومن هنا كان الإنسان ذاته هو الأساس الأول المكون للحضارة، كما لا يمكن أن يتصور بناء حضارة إنسانية حقيقية لها كيان معتبر دون أن تتحقق لدى هذا الإنسان المعمِّر للكون والمنسجم مع الطبيعة والحياة كرامةٌ تحفظ له مقومات إنسانيته، فالكرامة مفهوم مؤسس لمعنى الإنسان وجوهره، ومعبر عن ذاته ووجوده، ولا يمكن التفكيك بين ذات الإنسان ووجوده وبين كرامته، والفطرة النقية والعقل السليم لا يمكنهما تصور الإنسان بدون هذا المفهوم، ولذا يعتبر العقلاء كرامة الإنسان المظهر الأجلى للإنسانية، وبدونها لا يمكن تعريفه بالإنسان.[1]

ولا شك أن الشعور بالكرامة الإنسانية، هو ما يحرر الفرد من كل خوف أوضغط يميلان عليه، ويتحقق ذلك في جعله يشعر بكرامته، ويهتم بشؤون نفسه، وإلا فسوف لا يولي لنفسه أي اهتمام، ولا يبذل لإصلاح وضعه أي نشاط، مهملاً حاضره ومستقبله وحتى ماضيه، فتُفقد في هذه الحالة إمكانية إقناعه بالسعي والعمل، وإمكانية التأثير عليه في دعوته لتحسين أموره وأوضاعه، والتحرك نحو الأفضل. ويبقى خاملاً جامداً لا مبالياً، مفضلاً استمراره في

١ . النمر، السيد حسن العبد الله، ورقة عمل بعنوان " قيمة الكرامة بين الفهم البشري وبصائر الوحي" مقدمة إلى المؤتمر الدولي بعنوان ( قيمة الكرامة آفاقها التشريعية وتجلياتها الإنسانية رؤية قرآنية) مقال على شبكة الانترنت:https://wamazati.blogspot.com

وضعه، على تحمل عناء الحركة وأعباء السعي والنشاط. وفي ذلك يرى مؤرخ الحضارة "ول ديورانت" أن الحضارة تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق؛ لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع، وعوامل الإبداع والإنشاء، حينئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريق فهم الحياة وإزهارها[١].

وتأسيسا على ذلك وترسيما لأطر التصور القرآني لبناء الإنسان الحضاري المكرَّم، يجدر بنا مناقشة قضية مهمة وهي: ماحكم انتفاء الكرامة الإنسانية عن النفس الكافرة ؟.

فنقول بإيجاز: لقد أشارت النصوص القرآنية السالفة إلى أن بناء العمران يقوم على الأسس التالية:

١.الإنسان(الخليفة) ٢.الأرض(محل الاستخلاف) ٣.العمران(غاية الاستخلاف) ، والعمران نوعان: أ–حسي، ويشترك في تحقيقه سائر البشرية على اختلاف الألوان والأجناس والمعتقدات، ب–معنوي، ويختص فقط بالمؤمنين المخلصين لله تعالى في تحقيق العبودية، وهذا العمران المعنوي هو الغاية الحقيقية من خلق الإنسان قال تعالى:" وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" الذاريات:٥٦ .وبدونه لا تتحقق الغاية العظمى من الاستخلاف، إن شئت فقل: العمران الكامل، أو على أقل تقدير بدونه يكون العمران ناقصا. وعلى ذلك يتحتم اختلاف وصف الإنسان الخليفة (المعمِّر في الأرض) بالكرامة بمقدار ما أنجز فيها من غايات.

ولتقريب الصورة في الأذهان يمكننا تقسيم وصف التكريم للإنسان في الدنيا إلى نوعين: أولهما: التكريم الذاتي المشار إليه في قوله تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا

١. ديورانت ، ويل " قصة الحضارة " القاهرة ط مؤسسة اقرأ ٢٠٠٩ م ص ٤٥ وما بعدها .

بَنِي آدَمَ" الإسراء:٧٠ ،ويشترك فيه كل بني آدم على اختلاف جنسهم ومعتقدهم. والآخر: التكريم المكتسب بالإيمان والتقوى والمشار إليه في قوله تعالى:" إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" الحجرات:١٣. إذن، فالكرامة في الدنيا تتناسب مع الغاية من الاستخلاف زيادة ونقصا –وليس وجودا وعدما– تناسبا طرديا، إذ لا تنتفي عن الإنسان لكفره مثلا كرامته الذاتية–فمع كفره لا يزال إنساناً– وإنما تنتفي عنه كرامته المعنوية وهذا ما أشار إليه سبحانه في وصفهم بقوله:" لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ" الأعراف:١٧٩..ونحوها.فهم كما تصفهم هذه الآية كالأنعام بل أضل منها فهما ورشدا، إلا أنهم أناسي ذاتاً وخَلْقاً مفضلون على كثير من المخلوقات ،وهذا ما جعل الرسول ﷺ يقف لجنازة اليهودي حين مرت به ولما سئل عن ذلك قال:"أو ليست نفساً"[1].

أما عن الآخرة فالتكريم فيها لا شك يكون للسعداء وهم أهل الطاعة والإيمان قال تعالى:" وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ" هود:١٠٨، وأما المذلة والإهانة فتكون للأشقياء وهم الكفار والمنافقون من سائر الديانات قال تعالى:" فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ" هود:١٠٦،وهنا تتحقق المعادلة الطبيعية الصحيحة، فمن وهب الكرامة للإنسان في الدنيا هو وحده من يملك أن يسلبها منه في الآخرة.قال تعالى:" لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ" التين:٤–٥

[1] البخاري ، محمد بن اسماعيل " صحيح البخاري " كتاب الجنائز باب من قام لجنازة يهودي رقم ١٢٥٠

وهنا يتولد سؤال آخر: هل الكرامة الإنسانية منحة إلهية أم استحقاق بشري؟ وهنا نقول: إن الكرامة الانسانية في الفهم البشري، تبحث في حقوق الانسان في اطار الصراع مع الآخر، أو تحديد علاقاته به. أما في القرآن فيبحث هذا المفهوم لاستحقاقه الذاتي، وإطاره المعنوي، المبتني على أساسات العقل والحرية والمسؤولية في فهم علة وغاية الخلق وطاعة الخالق، ومن ثم فهي منحة إلهية.[١]

١ . النمر، السيد حسن العبد الله، ورقة عمل بعنوان " قيمة الكرامة بين الفهم البشري وبصائر الوحي" مقدمة إلى المؤتمر الدولي بعنوان ( قيمة الكرامة آفاقها التشريعية وتجلياتها الإنسانية رؤية قرآنية) مقال على شبكة الانترنت:https://wamazati.blogspot.com

**٢.المطلب الثاني: مفهوم الحضارة**

**أ. الفرع الأول: مفهوم الحضارة: وتحته مسألتان:**

**= المسألة الأولى: الحضارة لغة :**

يقول ابن فارس: "الحاء والضاد والراء: إيراد الشيء وروده ومشاهدته، وقد يجيء ما يبعد عن هذا وإن كان الأصل واحداً. فالحَضَر خلاف البدو"[١]. وفي القاموس المحيط: الحضارة: الإقامة في الحضر"[٢] .

وفي المعجم الوسيط: "حضر فلان – حَضارةً: أقام في الحضر، وحضر الغائب حضوراً: قَدِمَ . والشيء والأمر: جاء وحضرت الصلاة: جاء وقتها. والحضارة بفتح الحاء وكسرها الإقامة في الحضر وضد البداوة، والحضر: المدن والقرى والريف، ومن الناس: ساكن الحضر"[٣].

إذن فالحضارة جاءت بالمعنيين: بمعنى الحضور، وهو نقيض الغيبة، وبمعنى الحضر وهو خلاف البادية.

فإذا كانت الحضارة بالمعنى الأول – أي الحضور – فهي تعطي دلالات معيَّنة على المقدرة المفترضة لحضور أصحابها في المجتمعات الإنسانية، وامتداد هذا الحضور للتطور المستمر، والتجديد المتواصل. أما إذا أخذنا الحضارة بمعناها الثاني؛ فهذا قريب من المعنى الأول؛ لأن البدو ليس لهم حضور بالمعنى المعنوي؛ لكثرة ترحالهم، وانقطاعهم عن التواصل مع المجتمعات الأخرى[٤].

---

١ . معجم مقاييس اللغة (مرجع سابق ) ، ص ٢١٤، مادة "حضر".

٢ . الفيروزآبادي ( مرجع سابق) ، ص ٥١٤، مادة "حضر".

٣. أنيس ، ابراهيم وزملاؤه " المعجم الوسيط " القاهرة ، ط مجمع اللغة العربية ١٩٩١م، ص١٨٠-١٨١ ، مادة "حضر" .

٤. الميلاد، زكي" المسألة الحضارية بيروت ،ط المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦م ، ص٩٣ . وانظر: السنيدي، فهد" حوار الحضارات المحددات والضوابط في ضوء الكتاب والسنة " ، بحث مشارك به في كرسي الأمير سلطان للدراسات الإسلامية المعاصرة، الرياض ط: مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ١٤٣١هـ. ص ٣٨-٣٩

**= المسألة الثانية: الحضارة اصطلاحاً :**

يقول ابن خلدون: "والحضارة هي: مرحلة متقدمة من مراحل الرقي الاجتماعي تتطلع إليه الجماعات البشرية بطبعها، وإن كانت في أول أمرها متخلفة ضاربة في البداوة والبدائية، وذلك لما يكون في ظل الحضارة عادة من يسر في العيش ورغد، ولما يتاح فيها من فرص تنمية ملكات الناس العقلية، والفنية، والروحية، وإشباع طموحاتهم الفردية والجماعية في تلكم المجالات جميعاً"[١]. ويطلق عليها علماء المجتمع بأنها: "تطلق على كل ما يخترعه الإنسان في سائر جوانب أنشطته العقلية، والخلقية، والمادية، والنفسية"[٢].

ويرى علماء مجمع اللغة العربية أن الحضارة: "مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني وهي عبارة عن مظاهر الرقي العلمي والفنيّ، والأدبي، والاجتماعي في الحضر"[٣].

ويقول الميداني: " إنه بإحصاء صور التقدم والرقي عند الإنسان نستطيع أن نرجعها إلى ثلاثة أصناف، وهي:

أولاً: ما يخدم الجسد ويمتعه من وسائل العيش، وأسباب الرفاهية، ويدخل في هذا الصنف أنواع التقدم العمراني والزراعي والصناعي والصحي... وما أشبه ذلك.

ثانياً: ما يخدم المجتمع الإنساني، ويكون من الوسائل التي تمنحه سعادة التعاون والإخاء والأمن والطمأنينة والرخاء، وتمنحهُ سيادة النظام والعدل والحق وانتشار أنواع الخير والفضائل الجماعية، ويدخل في هذا الصنف أنواع التقدم الاجتماعي

---

١. ابن خلدون ،احمد" مقدمة ابن خلدون" بيروت، ط: دار البيان، د.ت ، ص٨٦-٨٩

٢. حسين، مُحَمَّد" الإسلام والحضارة الغربية" بيروت ط: دار الإرشاد، ١٣٨٨هـ ص ١٦١ .

٣. أنيس، ابراهيم " المعجم الوسيط" ( مرجع سابق) ص١٨١، مادة "حضر" .

الشامل للنظم الإدارية والحقوقية، والمالية، والأحوال الشخصية... وكل أنواع الثقافات التي تخدم هذا الصنف .

ثالثاً: ما يأخذ بيد الإنسان فرداً كان أم جماعة على السعادة الخالدة التي تبدأ منذ مدة إدراك الإنسان ذاته والكون من حوله، وتستمر مع نفس الإنسان وروحه الخالدتين إلى ما لا نهاية "في الدنيا والآخرة" ، ويدخل في هذا الصنف أنواع التقدم الفكري القائم على التأملات الحِكميَّة التي توصل الإنسان إلى معرفة الخالق سبحانه وتعالى، وسر وجود الإنسان، وغايته ومصيره وواجبه في الحياة الدنيا "[1].

١. الميداني، عبدالرحمن حسن" الحضارة الإسلامية " ،دمشق ط: دار القلم، ١٤١٨هـ ص١٩، ٢٠ .

**٣.المطلب الثالث : مفهوم الكرامة الإنسانية ا لغة واصطلاحا .**

**أ.الكرامة في اللغة :**

بالبحث والتحري تبين أن الكاف، والراء، والميم، أصل صحيح له بابان أحدهما يدل على الشرف.[١]و الكريم: الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل"[٢].ويقال: كرُمَ يَكرُم ،كَرَمًا وكرامةً فهو كريم والجمع: كِرامٌ ، وكُرَماءُ وهي كريمة والجمع: كرائم. ويقال: أكرم الشَّخصَ شرَّفه ونزَّهه، رفَع شأنَه وفضّله، أحسن معاملتَه. وأكرم مَثْواه: أنزله مُنزلاً كريمًا . وأكرم نفسَه عن التَّبذّل: صانها. ويقال: له عليّ كرامة: عِزّة. والكرامة: احترام المرء ذاته، وهو شعور بالشرف والقيمة الشخصيّة، يجعله يتأثّر ويتألّم إذا ما انتُقِص قدره[٣].

إذن يفهم مما سبق أن الكرامة في اللغة معنى جامع لكل معاني الشرف والعزة والفضائل.

**ب .الكرامة في الاصطلاح:**

لم يعن بوضع حد أو ماهية لمصطلح الكرامة من أصحاب الفنون والعلوم مثلما عني به أصحاب الفلسفات وعلوم الاجتماع ، ولذا نجد تعريف الكرامة الإنسانية عندهم هو: مبدأ أخلاقيّ يقرّر أنّ الإنسان ينبغي أن يُعامَل على أنّه غاية في ذاته لا وسيلة، وكرامته من حيث هو إنسان فوق كلّ اعتبار[٤].وفي الموسوعات العالمية المعاصرة: الكرامة الإنسانية: هي قيمة الإنسان وهذا تعريف ثابت، أما ماهية القيمة فهي متحولة تتماشى مع الزمن وتطور

---

١. ابن فارس ، احمد " مقاييس اللغة " ( مرجع سابق ) ٥/ ١٧١ . مادة كرم

٢. ابن منظور "لسان العرب " ( مرجع سابق ) ١٣٢/١٣ مادة كرم

٣. انيس ، ابراهيم المعجم الوسيط ( مرجع سابق ) ٣٢٠/٢ مادة كرم.

٤. وهبة ، مراد " المعجم الفلسفي" القاهرة ط دار قباء الحديثة ،٢٠٠٧ م ص ٦١١

العقل البشري، ويصح هنا القول: أن أية قيمة عادلة تُكتشف أو يخترعها الإنسان أو الطبيعة وتعطي للإنسان صفات إنسانية جديدة تزيد في احترام الإنسان وتحسن حياته تصبح جزءا من هذه القيمة وتزيدها غنى.[1]

إذن نخلص مما سبق أن الكرامة الإنسانية : تعني اتصاف الإنسان بما يليق به من الشرف والفضائل التي تجعله محترما ذا قيمة ومحلا للعناية والاعتبار في أعين نفسه وفي أعين غيره.

١. موسوعة ويكيديا الحرة : (http://bohoutmadrassia.blogspot.com/)

**ثانيا: المبحث الاول: دلالات الكرامة الانسانية في القرآن والسنة. وتحته مطالب:**

**١. المطلب الأول: الدلالة القرآنية لمصطلح "الكرامة الانسانية " ومفهومها.**

باستقراء وتتبع مصطلح الكرامة في القرآن الكريم بجميع مشتقاته تبين أن هذا المصطلح ورد ذكره في ثلاثة وأربعين موضعا (٤٣) ، وكانت على النحو التالي:

أ- أربعة مواضع بصيغة الفعل الماضي. ب- موضع واحد بصيغة المضارع. ج- موضع واحد بصيغة الأمر. د- موضع واحد بصيغة اسم الفاعل. هـ- خمسة مواضع بصيغة اسم المفعول. و- موضعان اثنان بصيغة أفعل التفضيل. ز- تسعة وعشرون موضعا باعتبارها وصفاً.

وللوقوف على الدلالات المستنبطة من معاني ورود هذا المصطلح في مواطنه نقول بإيجاز وبالله التوفيق:

أولا: بصيغة الفعل الماضي وهي في أربعة مواضع: الأول: في قوله تعالى:" وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا" الإسراء:٧٠ للدلالة على أن الكرامة الإنسانية منحة إلهية للإنسان عموما بقطع النظر عن جنسه أولونه أودينه، وظاهر الآية يفيد ذلك[١]. وقد أشار الطباطبائي إلى ذلك عند تفسيره لهذه الآية فقال:" المراد بالتكريم تخصيص الشيء بالعناية وتشريفه بما يختص به ولا يوجد في غيره، وبذلك يفترق عن التفضيل فان التكريم معنى نفسي وهو جعله شريفا ذا كرامة

١. انظر تفسيرها في : القرطبي ، احمد بن عبد الله " الجامع لأحكام القران ". القاهرة ،ط دار الحديث ٢٠٠١ م ٢٩٣/١٠ بتصرف.

في نفسه بينما التفضيل تكريم للشيء فيما يتعلق به وبغيره "[1] هذا، ولم يقتصر حد التكريم على ذاته؛ بل شمل صورته وهيئته قال تعالى:" وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ" غافر:٦٤. وقال تعالى:" الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ" الانفطار:٧-٨. وقال تعالى:" لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" التين:٤. والثاني: في قوله تعالى حكاية على لسان إبليس اللعين:" قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا" الإسراء: ٦٢ وهذه الآية نص صريح في تكريم آدم عليه السلام وذريته وتفضيلهم على الجن وبني جنسه؛ بأن شرفهم الله سبحانه بإسجاد الملائكة لهم، واستخلافهم في الأرض لعمارتها وبناء الحضارة عليها.. الخ. والثالث والرابع: في قوله تعالى:" فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ" الفجر:١٥ وهذه الآية دلالة صريحة على أن بعض مظاهر التكريم للإنسان عموما قد تكون ابتلاء وامتحانا وليست دليلا على رضا الحق سبحانه على العبد، وإلا ففي الواقع المعيش ما يشير بظاهره إلى أن الكافر الغني أكرم عند الله من المؤمن الفقير، وهذا فهم مستنكر عقلا وشرعا.([2])

ثانيا: بصيغة المضارع وهو موضع واحد في قوله تعالى:"كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ "الفجر:١٧ وهذه الآية في سياقها نص بمفهومها على الأمر بإكرام اليتيم والإحسان إليه، وهذا الصنيع من مقتضيات الإيمان الذي هو ركن الحضارة وبناء العمران، حيث إن اليتيم قد فقد الأسباب التي هي مظنة لحصول التشريف

١. الطباطبائي ،احمد " الميزان "١٥٦/١٣ بتصرف يسير .

٢. انظر تفسيرها في ابن كثير ، عبد الله " تفسير القران العظيم " الرياض –ط دار طيبة ٢٠٠٢ م ٣٩٩/٨ بتصرف.

والتعظيم والمكانة له بفقد أبويه أو أحدهما، وهذا حاصل ومشاهد عيانا.كما أنها نص في استحقاق العذاب لمن امتنع عن إكرام اليتيم وهو قادر على ذلك.

ثالثا: بصيغة الأمر وهو موضع واحد في قوله تعالى :" وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ " يوسف :٢١ وواضح من الآية أن دلالة الإكرام هنا دلالة خاصة كما يقول الرازي في تفسيرها: "أي أحسني منزله ومقامه عندك من قولك ثويت بالمكان إذا أقمت به ، ومصدره الثواء ، والمعنى : اجعلي منزله عندك كريما حسنا مرضيا بدليل قوله : ( إنه ربي أحسن مثواي )"([1]).

رابعا: موضع واحد بصيغة اسم الفاعل وذلك في قوله تعالى :" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ " الحج : ١٨ وفي الآية دلالة واضحة على أن الكرامة الإنسانية الكاملة[2] تشريف إلهي محضٌ يمنحه الحق سبحانه للإنسان مطلقا، لكن هذا التكريم الكامل مشروط؛ فإذا آمن الإنسان و انسجم مع الفطرة والطبيعة وسائر المخلوقات فحقق معنى العبودية التي هي الغاية الحقيقية من خلقه واستخلافه في الأرض كما قال تعالى:" وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" الذاريات:٥٦ فقد استحق التشريف والتكريم الكامل، وإذا أبى وتخلف

١. الرازي ، مُحَّد بن الحسن (فخر الدين) " التفسير الكبير " بيروت ط دار الكتب العلمية ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م ٨٨/١٢/٦

٢ .سبق أن ذكرنا أن الكرامة الانسانية نوعان : نوع جبلي طبعي ونوع مكتسب بالايمان والتقوى ولا تتحق الكرامة الانسانية كاملة إلا بالنوعين معا .

عن الإيمان ولم يحقق معنى العبودية المستحقة لله تعالى فقد خاب وخسر واستحق الذل والهوان[1].

خامسا: خمسة مواضع بصيغة اسم المفعول ، والأول والثاني في وصف الملائكة، فالأول في قوله تعالى:" وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ" الأنبياء:٢٦.يقول الرازي في تفسيرها:" أما قوله:(بل عباد مكرمون) فاعلم أنه سبحانه لما نزه نفسه عن الولد أخبر عنهم بأنهم عباد والعبودية تنافي الولادة إلا أنهم مكرمون مفضلون على سائر العباد وقرئ: (مكرّمون لا يسبقونه) من سابقته فسبقته أسبقه ، والمعنى أنهم يتبعونه في قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله، وكما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا كذلك مبني على أمره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به"([2]) ، والثاني: في قوله تعالى:" هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ" الذاريات: ٢٤. وواضح أن وصف الملائكة بالإكرام هنا هو نفس الوصف في الآية السابقة، اللهم إن المناسبة قد اختلفت واختلف معها السياق. والثالث: في وصف القرآن الكريم كما في قوله تعالى:" فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ" عبس:١٣.والمراد بتكريم الصحف هنا تطهيرها مطلقا ، أو أنها مرفوعة القدر والمكانة([3]). والرابع في وصف المؤمنين الذين عملوا الصالحات فأتمروا بأوامر الله واجتنبوا نواهيه فكان جزاؤهم الجنة وهم فيها مكرمون كما يقول سبحانه:" وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ" المعارج :٣٤-٣٥ والخامس: في وصف الرجل الصالح الذي آمن بدعوة الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إلى القرية المشهورة في القرآن يدعون أهلها إلى الايمان بالله

١. انظر تفسيرها في القرطبي " الجامع لأحكام القران " ( مرجع سابق ) ٢٤/١٢ .

٢. الرازي " مفاتيح الغيب "( مرجع سابق ) ٩/ ٨٩/١٧

٣. انظر تفسيرها في " المرجع السابق" ١٦/ ١١٢/٣٠

وحده فكفروا بهم وتوعدوهم بالقتل والرجم بالحجارة، فأخذ الرجل يحثهم على الإيمان بهم وتصديقهم ويجادلهم بالحجة فقتلوه فأدخله الله الجنة وجعله من المكرمين كما في قوله تعالى: " قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ" يس: ٢٦-٢٧.([1])

سادسا: موضعان اثنان بصيغة أفعل التفضيل ، الأول منهما في قوله تعالى:" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ" العلق :١-٣ . يقول ابن تيمية في تفسيرها :" وهو سبحانه أخبر أنه الأكرم بصيغة التفضيل والتعريف لها، فدل على أنه الأكرم وحده، بخلاف ما لو قال: "وربك أكرم". ولم يقل:"الأكرم من كذا"، بل أطلق الاسم ليبين أنه الأكرم مطلقًا غير مقيد. فدل على أنه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه"([2]). والثاني في قوله تعالى :" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" الحجرات : ١٣. فهذه الآية تقرر الأصل الجامع الذي تنطلق منه الأخلاق الحسنة، وتضعف معه أو تتلاشى الأخلاق السيئة، وأنه معيار التفاضل والكرامة الكاملة عند الله، كما أنها تبرز ميزان العدل الذي لم تظهر تفاصيله كما ظهرت في هذا الدين. قال ابن تيمية: "وليس في كتاب الله آية واحدةٌ يمدح فيها أحداً بنسبه، ولا يَذُمُّ أحداً بنسبه، وإنما يمدحُ الإيمانَ والتقوى، ويذمَ بالكفرِ والفسوقِ والعصيان"([3]).

---

١. انظر تفسيرها القرطبي ( مرجع سابق ) ٢٣٤/٢٣

٢. انظر: القيسي ، إياد عبد اللطيف "تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية " السعودية – الدمام ط دار ابن الجوزي ،١٤٣٢ هـ ٣٤٥/٧

٣. الحراني ، احمد بن تيمية " الفتاوى الكبري " ١ /١٦٤

سابعا: وأخيرا تسعة وعشرون موضعا جاءت الكرامة فيها وصفا على النحو التالي: أ- وصفا للمولى عز وجل وما يتعلق بجلاله كما في قوله تعالى :" فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ" المؤمنون:١١٦.وقوله تعالى :" وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ "النمل:٤٠ .وقوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ" الانفطار:٦ . ب- ما جاء وصفا للملائكة وخاصة جبريل عليه السلام كما في قوله تعالى:" إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ" الحاقة:٤٠ ،التكوير:١٩.ج- ما جاء وصفا للقرآن الكريم كما في قوله تعالى:" إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ" الواقعة:٧٧ وجاء وصفا لكتاب سليمان عليه السلام الذي أرسله إلى ملكة سبأ كما في قوله تعالى حكاية على لسانها:" قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ " النمل:٢٩. د- ما جاء وصفا للرسل عليهم السلام ومنهم موسى عليه السلام كما في قوله تعالى:" وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ: الدخان: ١٧ ، ويوسف عليه السلام كما في قوله تعالى: " فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ " يوسف:٣١ .هـ- ما جاء وصفا لما يكون في الآخرة وهو نوعان: نوعٌ مدحٌ وقد وصف فيه النعيم الذي يتنعم فيه المؤمنون في الجنة؛ أحيانا بالرزق الكريم كما في قوله تعالى :" أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ " الانفال: ٤ ،٧٤ والحج:٥٠ والنور :٢٦، وأحيانا بالمدخل الكريم في قوله تعالى:" إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا" النساء:٣١، وأحيانا بالأجر الكريم كما في قوله تعالى:" تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا" الأحزاب:٤٤ وفي موقف آخر لمن خشي الرحمن بالغيب له أجر كريم كما في قول تعالى:" إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ

كَرِيمٍ"يس:١١، وأحيانا رزقا كريما خاصا بأمهات المؤمنين ﷺ أجمعين كما في قوله تعالى:" وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا" الأحزاب: ٣١. ونوع ذم وهو ما جاء وصفا لعذاب الكافرين في قوله تعالى:" فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ" الواقعة ٤٢-٤٤. أو ما كان على سبيل التهكم بالكافرين وهم يعذبون في جهنم فتناديهم خزنتها قائلة لهم :" ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ " الدخان: ٤٩ . و- ما جاء وصفا لبعض النعيم في الدنيا لأقوام مخصوصة وهم فرعون وقومه كما في قوله تعالى:" فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ "الشعراء:٥٨ وكما في قوله تعالى:"وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ" الدخان: ٢٦.

ز- ما جاء في مقام بر الوالدين وصفا للقول الكريم الذي ينبغي على المؤمنين أن يقولوه لوالديهم. وهو من مقتضيات الإيمان الذي هو أحد أركان الحضارة وبناء العمران قال تعالى:"فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا" الإسراء: ٢٣. كان هذا عن ورود مصطلح الكرامة في القرآن الكريم .

أما عن وروده كمفهوم فهناك نصوص كثيرة تدل على معاني الكرامة ودلالاتها دون التصريح بلفظ الكرامة ومنها ما يتعلق بالمبادئ الاسلامية ومنها ما يتعلق بحفظ الضروريات الأصلية في التشريع الاسلامي .. الخ، ومن ذلك قوله تعالى: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" البقرة :٢٥٦ وقوله تعالى: " وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ" الكهف :٢٩ وقوله تعالى : " أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ" هود: ٢٨ ،وقوله تعالى: " وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ" البقرة :٦١ وقوله تعالى :" فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ" المائدة :٥٤ وقوله تعالى على لسان أحد المنافقين:"

لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ" فرد الحق سبحانه بقوله" وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ" المنافقون :٨... وغيرها كثير مما يأبى المقام عن حصرها.

إذن نخلص مما سبق: أنه من خلال هذه السياقات جميعاً وجدنا أن الدلالة القرآنية للكرامة لا تخرج عن إطار المعاني اللغوية السابقة، التشريف، والتفضيل، والتذكير بالإنعام الإلهي.. الخ، مما يرسخ في الوجدان أن الكرامة أصل أصيل في النوع البشري، وهي عنصر رئيس في تركيب الطبيعة الإنسانية منذ أن خلق الله آدم- عليه السلام-ومما يؤكد بشكل قاطع، أن الكرامة الإنسانية من الفطرة، وأنه لا تبديل لفطرة الله التي فطر الناس عليها[1].

١. التويجري ،عبد العزيز بحث "الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية" مقدم إلى طهران، المؤتمر الحادي عشر للوحدة الإسلامية بعنوان " التقريب بين المذاهب الإسلامية"١٤١٩ هـ .بتصرف.

**٢. المطلب الثاني : دلالات الكرامة الانسانية في السنة النبوية .**

لقد عنيت السنة المطهرة بتكريم الإنسان –مطلقا– عناية بالغة، وأكدت على ما جاء في القرآن الكريم في هذا المعنى كثيرا؛ فنرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤكد ذلك في خطبة الوداع بقوله:" "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلاَ لاَ فرق بين عَرَبِي ولا عْجَمِي، وَلاَ أَسْوَدَ ولا أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى"[١]، ومن ذلك قول المصطفى ﷺ حاثا على استقرار وتلاحم المجتمع بكافة عناصره: "من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما"[٢]. وقال ﷺ: "ألا من ظلم معاهدا أو انتقص منه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة"[٣]. ومن مظاهر التكريم نهي الإسلام عن التعذيب سواء كان المعذب مسلما أو ذميا، روى عروة ابن الزبير أن هشام بن حكيم وجد رجلا وهو (والٍ) على حمص يشمّس ناسا من القبط في أداء الجزية، فقال: ما هذا؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا".[٤]، ولولم يعرف هشام أن هذا الوعيد يشمل المعذبين من أهل الذمة كما يشمل المسلمين لما ذكّر به الوالي الذي كان يقوم– عن جهل بقواعد الإسلام السمحة–

---

١. ابن حنبل ، احمد " المسند مرجع سابق ) رقم ١٢ وقال الهيثمي ، الحافظ "مجمع الزوائد" رواه احمد ورجاله رجال الصحيح . وخرجه الألباني ، مُحَمَّد ناصر الدين " السلسلة الصحيحة رقم ٣٧٠٠ عن جابر ﷺ .

٢. صحيح البخاري ( مرجع سابق) كتاب الديات باب إثم من قتل ذميا بغير جرم ٦/٢٣٤ رقم٦٥١٦

٣. سنن الترمذي ( مرجع سابق ) كتاب الديات عن رسول الله ﷺ باب ما جاء فيمن يقتل نفسا معاهدة ٣/١٢٣ رقم ١٤٠٣ وقال عنه :حديث حسن صحيح .

٤. صحيح مسلم ( مرجع سابق ) كتاب البر والصلة والآداب باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق .٤/٢٠١٨ رقم ٤٧٣٤

بتعذيب بعض القبط. ولعل في موقف النبي مُحَمَّد ﷺ من جنازة اليهودي حين مرت أمامه فقام لها، فلما سئل عن ذلك تعجبا من صنيعه قال ﷺ :" أو ليست نفسا"[1]؛ تأصيلا لمعنى الكرامة الإنسانية واحتراما للذات الإنسانية مطلقا. كما نهى ﷺ عن مناداة السيد عبده بيا عبدي ولكن ليقل فتاي وفتاتي ونهى العبد أن ينادي سيده بيا سيدي ولكن ليقل مولاي، أي صديقي وناصري[2] كما نهى ﷺ عن ضرب العبيد أو ظلمهم؛ بل إنه جعل عتق العبد إذا لطمه سيده كفارة له[3]. وقد قال ﷺ: "إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، ولو شاء لجعلكم تحت أيديهم، أطعموهم مما تطعمون، واكسوهم مما تكسون"[4].. وغير ذلك من النصوص والمواقف النبوية الشريفة التي تدل دلالة صريحة على عناية الاسلام بتعزيز النفس البشرية عموما والمحافظة على كرامتها دون النظر إلى دينها أو جنسها أو لونها أو حسبها أو نسبها مما يؤكد سمو هذا الدين ورقيه وتأهله عن جدارة لأن يكون هو دين البناء والعمران والرقي الحضاري[5].

١. صحيح البخاري كتاب الجنائز باب من قام لجنازة يهودي رقم ١٢٥٠

٢. صحيح مسلم كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمة والمولى والسيد رقم (٢٢٤٩ )

٣. صحيح البخاري كتاب النكاح باب ما يكره من ضرب النساء رقم ٤٩٠٨

٤. صحيح البخاري كتاب العتق باب قول النبي ﷺ العبيد إخوانكم رقم ٢٤٠٧

٥. انظر : ابو زهرة ، مُحَمَّد " تنظيم الإسلام للمجتمع " القاهرة ،ط دار الفكر العربي للنشر والتوزيع (د.ت) ص ٢٦ وما بعدها .

**ثالثا: المبحث الثاني: الكرامة الانسانية وعلاقتها بالمبادئ الاسلامية في ضوء القران الكريم وتحته مطالب :**

**١.المطلب الأول: علاقة الكرامة الإنسانية بالحرية .**

شاءت إرادة الله سبحانه أن يرتبط مصير الإنسان ومآله بمدى قيامه بمتطلبات الاستخلاف ووفائه بمسؤولياته الجسيمة في عالم الشهادة، فإذا غفل عنه أو فرط فيه، أو نكص عن أداء ما استؤمن عليه، يكون بذلك قد تخلى عن مهمته الحقيقية، وألغى جانباً كبيراً من طبيعته وفقد كثيراً من خصائصه وخاصة كرامته وعزته؛ لأن الفشل والإخفاق في القيام بأعباء الاستخلاف والحفاظ على الأمانة المنوطة به مع ما منحه الله إياه من ميزات وخصائص لم تمنح لغيره من الخلائق مما يسبب لا محالة الإحساس بالصغار والمهانة والدونية، ومن ثم فأداؤه لهذه الوظيفة الاستخلافية على أتم ما يكون هو الذي يعطى لحياته هدفاً ومعنى، ولذاته كرامة وقيمة، ويمكنه من صنع حضارته، وتحقيق رسالته في الوجود كما أرادها الله تعالى[١] . من هنا كانت الأمانة تفترض المسؤولية والإحساس بالواجب من حيث إنها تكليف وذلك يقتضي أمرين:

أحدهما: الارتباط والتقيد بما يشرعه المستخلف وهو الله سبحانه وتعالى ، وليس لها أن تحكم بهواها أو باجتهاد منها لأنه يتنافى مع طبيعة الاستخلاف، وهناك نصوص كثيرة تؤكد أن الإنسان لا يمكن أن يستقل بالمعرفة الشرعية بنفسه، وأنه لا يمكنه كذلك أن يستغني أو يستقل بأي مصدر معرفي شرعي غير المصدر

١. الصدر، محمد الباقر" خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء" سلسلة الإسلام ... رقم ٣ ، ايران ،مطبعة الخيام رقم ١٣٩٩هـ. ص١٠ وانظر: وظيفة الاستخلاف في القرآن (مرجع سابق) ص ٣٤-٣٥ . وانظر: البوطي ،محمد سعيد رمضان " منهج الحضارة الإنسانية في القرآن "سوريا ط: دار الفكر، ط١ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ص ٣٦-٣٩ بتصرف كثير.

الإلهي، إذ المعرفة التي لا تأتي من طريق الله معرفة وثنية ونوع من اتباع الهوى والعبودية له، واتباع الهوى ضلال ليس بعده ضلال قال تعالى:" فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" القصص :٥٠ .ولهذا فإن الحق سبحانه اختار لخلقه أن يعبدوه وحده دون سواه قال تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" البقرة:٢١[١]. ومن مهام العبودية الاتباع لا الابتداع .

الثاني: امتلاك المستأمَن وهو الخليفة للحرية إذ بدون الاختيار والحرية لا معنى للمسؤولية؛ بل إن التكليف على أساس من الحرية والإرادة هو السبيل الوحيد إلى الترقي والاكتمال في منهج العبودية الحقة التي هي روح الخلافة، ففرصة الاختيار بين اتباع الهوى والخلود الى نوازع الهبوط وبين اتباع الأمر الإلهي والتسامي إلى الأفق الأعلى هي التي تمكن الإنسانية من مغالبة الهوى لتحقيق التسامي في ضرب من الجهاد النفسي الذي يؤدي إلى الترقي والاكتمال شيئا فشيئا عبر التفاعل مع الكون[٢]. يقول الغزالي:" والحرية الحقيقية –التي هي جوهر الكرامة الإنسانية– ليست في حقّ الإنسان أن يتدنَّس إذا شاء ويرتفع إذا شاء، بل الحرية أن يخضع لقيود الكمال، وأن يتصرف داخل نطاقها وحده. وقيود الكمال هذه تضعنا على الطريق إلى الله، طريق الكمال، والتصفية، والتحول عن مواطن الغفلة والركود، إلى مواطن الذكر والحرية، والسير في ميادين النفوس سيراً

١. عثمان ،حامد مُحَمَّد" الحرية في ضوء القرآن الكريم –دراسة موضوعية" مصر، ط مجلة كلية الشريعة والقانون فرع جامعة الأزهر بطنطا،٢٠١٤ م ص ٦ وما بعدها.

٢. النجار ،عبد المجيد "خلافة الإنسان بين الوحي والعقل "فرجينيا ، ط ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،ط٢ ١٩٩٣ م ص ٦٤ بتصرف .

وجهته الله تعالى، وعدّته صالح الأخلاق والأعمال، وشاراته التوبة والرغبة إلى الله والورع والعفّة والقناعة والصبر والشكر والخوف والرجاء والتوكل والحب"[١].

ولقد تعددت الآراء حول مفهوم الحرية أهي حرية القلب ؟ أم حرية الإرادة ؟ والحقيقة أن من قال بحرية القلب نظر إلى أصل الحرية في الإسلام وما ينبغي أن تكون هي عليه، فهي عبودية القلب لله تعالى وحده دون سواه ، ومن قال بحرية الإرادة والاختيار نظر إلى أهم أعمال القلوب فإن عبودية الله انما تحصل بالإرادة والاختيار، فإن حصلت فهذا غاية التكريم للإنسان وذروته قال تعالى:" قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي" الزمر:١٤[٢].وامتلاك الإنسان –ولو كان كافرا بالله تعالى– لهذه الإرادة الحرة لا ينفي عبوديته المطلقة لله تعالى فهو خالقه ورازقه ومبيده أمره كله قال تعالى:"وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ" الزمر:٣٨، بيد أن قيمة الحرية والكرامة والسعادة تكون في عبودية القلب المؤمن لله تعالى وحده اختيارا كما في قوله تعالى:" إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" الفاتحة :٥ .

ومن أهم الحقوق التي منحت للإنسان باعتباره خليفة في الأرض حق حرية الاعتقاد واختيار الدين كما صرح بذلك القرآن الكريم في أكثر من موضع فقال تعالى:" لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى"البقرة:٢٥٦.وقوله تعالى:" وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ" الكهف :٢٩..وفي قصة شعيب

١. الغزالي، محمد "الجانب العاطفي في الإسلام "مصر– الاسكندرية ط دار الدعوة ١٩٩٠ م ص ١٧٥ وما بعدها .

٢. انظر: ابن تيمية ، احمد " العبودية" ص ٦١ وانظر: ثابت ،سعيد" الحرية الإعلامية في ضوء الإسلام" ص ٢٢–٢٤ بتصرف.

عليه السلام يصرح الحق سبحانه أن الدخول في الدين ليس بالإكراه وإنما يكون بالاقتناع قال تعالى :" قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ " هود:٢٨ وغير ذلك من الآيات الدالة بوضوح على احترام الكيان الإنساني مطلقا وتعزيز قيمته.

قال مُحَمَّد السبزاوري في تفسيرها يؤخذ من هذه الآية الشريفة حرية الاعتقاد بعد ثبوت الحجة والبرهان ليكون التدين بالبحث الفكري والإقناع الفعلي١.وقال السعدي:يخبر تعالى أنه لا إكراه في الدين لعدم الحاجة إلى الاكراه عليه، لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفيت أعلامه، غامضة أثاره ،أو أمر في غاية الكراهة للنفوس، أما هذا الدين القويم والصراط المستقيم فقد تبينت أعلامه للعقول، وظهرت طرقه، وتبين أمره، وعرف الرشد من الغي ..الخ٢.

قال اطفيش: "ليس من دين الله أن تكرهوا أحداً على الدخول فيه كالحبس أو الضرب أو الإلجاء أو الإغراء حتى يسلم أولا فلا يكره الله أحداً على الدين بل جعل الأمر اختياراً٣.

وقال بعض الباحثين : "وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان واحترام إرادته وفكره ومشاعره وترك أمره لنفسه. ثم قال: وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني إلى أن قال: إن حرية الاعتقاد هي أول حقوق الإنسان التي يثبت له فيها وصف إنسان".

وهنا إشكال يثار كثيرا وبقوة وهو: إذا كان الإسلام دينا يمنح الكرامة للإنسان ويحترم كيانه باعتباره إنسانا دون النظر إلى دينه أو جنسه أو لونه أو نسبه وحسبه.. الخ فلِمَ يأمر بقتله إذا ارتد عن الإسلام؟ والجواب عن ذلك من

---

١. السبزاوري، مُحَمَّد "الجديد في تفسير القرآن المجيد"، بيروت ط دار التعارف ط١ ( د.ت ) ص٣٢٦

٢. تفسير السعدي ( مرجع سابق ) ص ١١٠

٣. إطفيش "مُحَمَّد يوسف "تيسير التفسير" سلطنة عمان ط وزارة الثقافة ١٩٩٥ م ص٤١٤.

وجوه: أولها: أن تحريم الردة ليس من الحجر على حرية الرأي أو حرية العقيدة لأن الحرية الرئيسية تعطى لغير المسلم قبل اعتناقه للإسلام وهو مخير حينها إن شاء دخل فيه وإن شاء أبى، أما بعد الدخول في الإسلام وأصبح عضواً في المجتمع المسلم فلا يجوز له أن يخرج من الإسلام بحال من الأحوال بل يعاقب في الدنيا والآخرة قال تعالى:" وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" البقرة: ٢١٧. ثانيها: أن جميع الديانات السماوية حافظت على هويتها وقدستها وحذرت معتنقيها من الارتداد عنها وتعاقب من يرتد عنها بالقتل، فلم التعقيب والتشنيع على الإسلام في هذا الإجراء وهو أحق وأولى ؟! ثالثها: شرع الاسلام مبدأ احترام الأديان جميعها وعدم ازدرائها أو التشنيع عليها قال تعالى :" وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" الأنعام :١٠٨ وذلك مراعاة لمصلحة الجميع لئلا تثور الفتن والاضطرابات بينهم وبين عوام المسلمين لئلا يكون في ذلك ترويج لعقائدهم وتحريف لعقائد المسلمين وإغراء السفهاء المسلمين على ترك دينهم واتباع دين النصارى أو اليهود وثم يحكم عليهم بالقتل ردة فتكون المفسدة أعم

**٢. المطلب الثاني : علاقة الكرامة الإنسانية بالعدالة والمساواة.**

تعد العدالة و المساواة بين الناس على اختلاف الأجناس والألوان واللغات، مبدأ أصيلا في التشريع الإسلامي، ومقصدا قرآنيا عظيما، ولم يكن هذا المبدأ على أهميته وظهوره ، قائما في الحضارات القديمة، كالحضارة المصرية أو الفارسية أو الرومانية ؛ إذ كان سائدا تقسيم الناس إلى طبقات اجتماعية، لكل منها ميزاتها وأفضليتها، أو على العكس من ذلك ، تبعا لوضعها الاجتماعي المتدني.

فنجد الإسلام يرسم المثل العليا للإنسانية الراقية ويتجاذب معها إسعاد البشرية والتقدم الحضاري في ظل المناداة بالأمة الواحدة والعالم الواحد، حيث تعمل البشرية جمعاء في ظل عدالة متألقة، وتعاون مثمر، وأمن باسط ذراعيه لا تغتال فيه حرية ولا تهضم فيه حقوق ولا تنتقص معه كرامة قال تعالى: "وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ" الأنبياء:٥٢[١].وقال تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً" النساء:١

وقد أكد القرآن الكريم على ضرورة تحقيق مبدأ العدالة والمساواة في ظل استهداف إقامة مجتمع تعاوني سليم لا مكان فيه لمظاهر الأثرة والاستغلال والسخرية والكبرياء والجبرية، تقوم في رحابه جميع الضمانات المنطقية المشروعة لكي يعيش الناس عيشة راضية مكرمة بالتوسعة عليهم في مجال سعيهم ، وتنمية شخصياتهم، واستثمار مواهبهم على الوجه الأكمل، كما ورد في بيان ذلك قوله تعالى:" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" النحل:٩٠ فهذه الآية تصور لنا عناصر العدل الاجتماعي الذي يجب أن ترسوا في الأمة جذوره وتعلو مظاهره ويستقر في ضمائر الناس سلطانه وحكمه. بل أكد القرآن العظيم على إقامة مبدأ العدل الأخلاقي الذي ينهض حكما بين المرء ونفسه في معاملة الناس حتى ولو كانت بينه و بينهم حزازات شخصية ويتضح ذلك في قوله تعالى:" وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى" المائدة:٨ وفي قوله تعالى:" وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى" الأنعام :١٥٢. ومن هنا وفي إطار مبدأ المساواة

١. عيسى، إبراهيم "كرامة الإنسان إحدى مقومات البناء الحضاري الإسلامي "القاهرة ط وزارة الأوقاف –المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ١٤١٩هـ ١٩٩٨ م العدد ٣٦ ص ٢٩.

في القيمة الإنسانية حرم الإسلام التفريق بين الناس على أساس اللون أو العرق أو اللغة، وحينما كانت قيمة الإنسان ترتبط تماما بمدى علاقته بخالقه ومستخلفه كانت التقوى هي المعيار للكرامة قال تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٍ" الحجرات :١٣ ويقول ﷺ:"ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه"[١]. وإذا كان الناس متساوين في القيمة الإنسانية فلا يجوز أن يتعرض إنسان لخطر أو ضرر بأكثر مما يتعرض له آخر من الناس قال صلى الله عليه وسلم :" المسلمون تتكآفأ دماؤهم .."[٢]

١. صحيح مسلم ( مرجع سابق) كتاب الذكر والدعاء والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر رقم ٢٦٩٩

٢. سنن ابن ماجه كتاب الديات باب المسلمون تتكا فأ دماؤهم رقم (٢٦٨٣ ) قال عنه الترمذي حسن صحيح، وصححه ابن حجر في الفتح ٢٦١/١٢

**٣.المطلب الثالث : علاقة الكرامة الإنسانية بالمسؤولية.**

تأسيسا على ما سبق ذكره أن الإنسان هو أحد أركان الحضارة وبناء العمران نقول: إن عمل الإنسان وتفاعله مع الطبيعة باستمرار هو المكوّن الرئيس لأحداث التاريخ وعملياته، ومن ثم فهو المحرّك والمطوّر الدائم للحضارة والتنمية. وإننا في حقل تكوين المجتمعات وتنظيماتها ومستوياتها ومشاكلها، نرى الإسلام يحمّل جميع هذه المسؤوليات على عاتق الإنسان فقط. فهو الذي يخلق المجتمعات، وعمله هو الذي يرسم الخطط، ويحدّد المسؤوليات، ويسبب المشاكل والصعوبات قال تعالى:" إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ" الرعد:١١ وقال تعالى:" ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" الروم:٤١، فلا دخل للعوامل الخارجة عن سعي الإنسان في تكوين المجتمعات وتحديد معالمها، كائناً ما كان، فالإنسان عندما يعمل، سواءً انطلق في عمله عن معرفة أو عن جهل أو عن إهمال، فإنه بذلك يختار طريقاً، ويفعل خطأً، ويكون الأمر كما اختار هو لمجتمعه قال تعالى:" وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" التوبة:١٠٥. فالمسؤولية عن العمل صغيرة أو كبيرة، تؤكد مقام الإنسان العظيم في عمله، وتثبت تأثير أعماله، حتى الصغيرة منها، في العالم، شعر بهذه التأثيرات أو لم يشعر قال تعالى:" فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ " الزلزلة:٧-٨ وقال تعالى:" وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ" يونس:٦١، وقال ﷺ :"كلكم

راع وكلكم مسؤول عن رعيته .." الحديث[١]،وهذه المسؤولية هي ضمانة كبرى لصيانة عمل الإنسان، والمحافظة عليه، وعدم هدره في الباطل، وعدم انحرافه عن الخط الإيجابي المفيد. ويوحي إلى هذه الصيانة، التعبير بالطيبات والخبائث عن الحلال والحرام، ويؤكد أن هذه المحاولة إنما هي لأجل تكريم الإنسان وتطهيره من الدنس والانحطاط[٢]. إذن نخلص مما سبق أن صناعة التاريخ وبناء الحضارة ليستا إلا تفاعلاً بموجب المسؤولية بين الإنسان والكون، فهل ثمة للإنسان فوق هذا كله تكريم ؟!

١. صحيح البخاري( مرجع سابق)، كتاب الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن الكتب الستة ٩٦/١ رقم (٨٩٣)

٢. الصدر، السيد موسى" الاسلام وكرامة الإنسان " مقال على شبكة الانترنت : http://www.islamology.com/ بتصرف .

**رابعا: المبحث الثالث: الكرامة الانسانية وحماية الكليات الخمس في ضوء القرآن الكريم وتحته مطالب :**

مدخل: تلعب الكرامة دوراً مهماً في التشريع الإسلامي ومنظومته الأخلاقية ومبادئه الفكرية والعقدية.

فهي تمثل محوراً مهماً وأساسياً لجملة من التشريعات والقيم، وأحد مقاصد الشريعة الغراء، فالكرامة إما أن تكون منشئاً لحق، أو هدفاً لتشريع، أو غاية لخلق، أو مناطاً لحكم، وبذا تحتل الكرامة قصب السبق في علل الأحكام والتشريعات.[1]

١ . النمر، السيد حسن العبد الله، ورقة عمل بعنوان " قيمة الكرامة بين الفهم البشري وبصائر الوحي" مقدمة إلى المؤتمر الدولي بعنوان ( قيمة الكرامة آفاقها التشريعية وتجلياتها الإنسانية رؤية قرآنية) . على موقع: https://wamazati.blogspot.com

**١.المطلب الاول : الكرامة الإنسانية وحماية الدين.**

سبق وأن ذكرنا أن كرامة الإنسان ترتبط أشد الارتباط بقيمته وكيانه الذاتي، وأن هذه القيمة تندرج ضرورة تحت المقصد العام للتشريع وهو حفظ نظام الأمة، والمتحقق بصلاح الإنسان المهيمن على هذا النظام ، وصلاح الانسان يشمل: صلاح عقله، ودينه، وعمله، وجميع ما بين يديه. وهذا الوصف هوما دعا إليه الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قال تعالى على لسان شعيب:" وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا" الأعراف: ٨٥ وكذا موسى عليه السلام قال تعالى:" وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ" الأعراف:١٤٢ وسبيل المفسدين هو ما قصه علينا القرآن في خبر فرعون وملئه قال تعالى :" إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ " القصص:٤ ، ولقد نادت الفطرة الإنسانية بهذا الإصلاح في ظل الاستجابة للغاية الحقيقية من خلق الإنسان وهي عبادة الله تعالى وحده قال تعالى:" وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ " الذاريات:٥٦ ،فقال تعالى :" فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" الروم :٣٠ وقال ﷺ :"كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعاء"[١]، فصلاح الإنسان هو الأداة الرئيسة لتحقيق مفهوم الاستخلاف وهو المقصد الأعظم للشريعة الإسلامية، ولذلك نرى الإسلام عالج أول ما عالج صلاح فكر الإنسان فابتدأ الدعوة بإصلاح الاعتقاد

١. صحيح مسلم ( مرجع سابق) كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار رقم ٢٦٥٨

الذي هو مبدأ التفكير الإنساني الذي يسوقه إلى التفكير الحق في بناء هذا العمران ،حيث إن المنهج الاستخلافي في شموله للفعل الانساني فردا أو مجتمعا صلة بالخالق سبحانه وتعالى، أو تعاملا مع الكون مرتبط بالخيط العادل من طرفيه: العمل والإبداع ( الرقي الحضاري) ومجانبة الإفساد في الأرض وتلقي القيم والتعاليم السماوية عن الله تعالى والالتزام الكامل بها وهذه معادلة أساسية متبادلة بحيث إن افتقاد أحدهما يؤدي إلى الأخرى والضياع في الدنيا والآخرة[1] قال تعالى:" قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا"هود:٦١ ، ثم عالج الإنسانَ بتزكية نفسه وتصفية باطنه لأن الباطن هو المحرك إلى الأعمال الصالحة قال تعالى:" وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا" الشمس:٧-١٠[2].

وهكذا نرى الإسلام يحترم قيمة الإنسان وذاته، فحرّم عليه عبادة كل ما سوى الله تعالى، واعتبر الإنسان أرفع وأكرم من أن يعبد غير الله، ويخضع أمام محدود مثله قال تعالى:" وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" يونس:١٨. وفي كثير من التوجيهات القرآنية، نجد تحذيراً ومنعاً من طلب الحاجة من غير الله سبحانه، قال تعالى:" وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ"

---

١. خليل ، عماد الدين " التفسير الإسلامي للتاريخ " بيروت ط دار العلم للملايين ط٥، ١٩٩١ م ص ١٩٣ .

٢. ابن عاشور ، مُحَمَّد الطاهر " مقاصد الشريعة "تونس ط المطبعة الفنية ط١ ١٣٦٦ هـ ص ٦٤ وما بعدها. وانظر: العضراوي، عبد الرحمن مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي ( مرجع سابق) ص ٩٨ وما بعدها بتصرف .

الأحقاف:٥. ومن ثم كانت الجهود الإيمانية التي يلزم بها الإنسان نفسه تدفعه إلى التدرج في سلم الكمال حتى يصل إلى مستوى رفيع من الشفافية الروحية وهو ما يعرف بدرجة الإحسان[١].وبذلك يحدث الانسجام الرائع بين الإيمان والعمل، وتنتفي من شخصية المسلم كل مظاهر التناقض والازدواجية وهو الهدف البعيد الذي كان يرمي إليه القرآن الكريم من خلال الربط بين الإيمان والعمل الصالح ، قال تعالى" وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) عصر:١-٣ . ومن خلال التشنيع كذلك على كل من يفصل بين الإيمان والعمل كما في قوله تعالى" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣)" الصف:٢-٣ .

ولا يظنن أحدٌ أن في ذلك تعارض مع بعض النصوص القرآنية التي ظاهرها يوهم إهانة الإنسان وإذلاله، أو وصفه بالضعف، أو البخل، أو الجدل، أو الإخلاد إلى الأرض،...الخ، مثل قوله تعالى" إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ" التوبة:٢٨ . وقوله تعالى:" أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا" الفرقان:٤٤ وقوله تعالى:" ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ" التين:٥ وقوله تعالى :"وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"الأعراف:١٧٦ وقال تعالى :" وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا" الكهف: ٥٤ وقوله تعالى:" وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا" النساء:٢٨ ....وغيرها. لأن الحق سبحانه حين خلق الإنسان وكرمه

١. خليل ، عماد الدين " آفاق قرآنية" بيروت ، ط: دار العلم للملايين، ط١، ١٩٧٨م، ص١٧. وانظر: وظيفة الاستخلاف "مرجع سابق" ، ص ٦١ .

من حيث هو إنسان وهبه العقل، وأعطاه الإرادة والعلم ، وأنعم عليه بالوحي والرسل لإرشاده إلى طريق الهداية، ومنحه حرية الاختيار بين الإيمان الذي هو سبيل الترقي في سلّم العزة والكرامة الكاملة، وبين الكفر الذي هو سبيل التردي في مهاوي الدونية والمذلة، إذن فمستقبله بيده، فإذا اختار الإيمان فقد وافق فطرته التي فُطر عليها باختياره فاستحق التكريم الكامل كما سبق ذكره، وإن كانت الأخرى فبئس الاختيار وبئست المنزلة. قال تعالى:" ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ" آل عمران:١٨٢.

هذا، ومما ينبغي التنبه إليه أن المحافظة على الدين من ضروريات الوجود الإنساني في الحياة. وهي تقوم على أصلين: الأول: حفظ الدين من جانب الوجود، وذلك بالمحافظة على ما يقيم أركانه ويثبت قواعده. الثاني: حفظ الدين من جانب العدم وذلك برفع الفساد الواقع أو دفع الفساد المتوقع[١]. وحفظه من جانب الوجود يكون بخمسة أمور: العلم... والعمل به... والدعوة إليه... والحكم به... والجهاد من أجله. والحفظ من جانب العدم: يكون بتفعيل تلك الوسائل التي من شأنها صيانة الملة وسد أبواب الذرائع المفضية إلى ذهاب الدين بالكلية أو ضعفه في نفوس أتباعه.[٢] وكان مما صرح به القرآن الكريم في إطار توثيق الكرامة الإنسانية بحفظ الدين –وجودا– مدح أتباعه قال تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ "

١. الشاطبي، أبو إسحاق ابراهيم ، الموافقات ( مرجع سابق)٢/٧

٢. انظر في تفصيل ذلك وأدلته: الزحيلي ،محمد " موسوعة قضايا إسلامية معاصرة( مقاصد الشريعة)" بيروت ط دار المكتبي (د.ت) ،وانظر: اليوبي،محمد "مقاصد الشريعة وعلاقتها بالأدلة الشرعية"الرياض ط، دار الهجرة للنشر والتوزيع ١٤١٨هـ ط١.

المائدة: ٥٤ . وفي جانب العدم؛ الزود عنه وعن أتباعه كما يصور ذلك قوله تعالى فيما حكاه عن المنافقين :" يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ" فرد سبحانه على زعمهم بقوله:" وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ" المنافقون:٨ .

**٢.المطلب الثاني: الكرامة وحماية النفس .**

تضافرت النصوص التشريعية في الإسلام –إمعانا في حفظ كرامة الإنسان– على تقديس حقه في الحياة وجعلته من أكبر مقاصدها، حيث حرم الإسلام الاعتداء على حياة الإنسان أو المساس بها بأي شكل من أشكال الاعتداء بغير حق، ويستوى في ذلك المسلم وغير المسلم ، الحر والعبد، الرجل والمرأة ، الصغير والكبير، فالجميع متساوون في استحقاق الحياة، قال تعالى:" مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا" المائدة :٣٢ وقال تعالى:" وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ" الأنعام :١٥١، حتى ولو كان المعتدي على هذه النفس هو ذاته وقال تعالى :" وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا " النساء:٢٩، وقال ﷺ :"من تحسّى سُمّاً فقتل نفسه، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها..."[١]، وشرع الاسلام القصاص زجرا عن التعدي على النفوس المعصومة ليحيا الناس حياة آمنة قال تعالى:" وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" البقرة:١٧٩، وليس القصاص من أجل حفظ حياة الأحرار فحسب، بل والعبيد كذلك قال ﷺ :" من قتل عبده قتلناه ومن جدعه جدعناه ..."[٢]، كما أباح الاسلام ارتكاب المحظورات في سبيل حفظ النفس الإنسانية قال تعالى:" إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" النحل :١١٥،ولم يكتف بذلك فقد نهى عن كل

١. صحيح البخاري كتاب الطب باب من شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث رقم (٥٤٤٢ )

٢. سنن أبي داوود كتاب الديات باب من قتل عبده أو مثل به أيقاد منه رقم (٤٥١٥ ) وحسنه الترمذي وقال حسن غريب

ما يهدد أمن الإنسان واستقراره، أو حتى إذايته بمرض أو خطر، فشرع حد الحرابة في ذلك قال تعالى:" إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" المائدة:٣٣، وقد نزلت فيمن سعى في الأرض بتهديد الناس وترويعهم وقتلهم وأخذ أموالهم[١]. وقال ﷺ:"إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ،وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها"[٢]،فهل كان نهيه هذا ﷺ إلا حفاظا على حياة الناس وأرواحهم؟!. ولم يقتصر هذا التكريم والمحافظة على حق الحياة على النفس المسلمة بل شمل غير المسلم كذلك قال تعالى:" وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ"التوبة:٦، فالنفس الإنسانية قيمة لها احترامها في الإسلام، وليس ذلك خاصا لحالة الإنسان في حياته فحسب؛ بل يمتد ذلك الحق إلى ما بعد الموت فتُوارى سوأته قال تعالى:" ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ" عبس:٢١، وقال تعالى:" فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ" المائدة :٣١ ، وجعل الإسلام من حق الإنسان إذا توفي أن نحترم جثمانه ونترفق به قال ﷺ:"إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه"[٣] بل أوجب ستر عيوبه وسوءاته وعدم ذكره إلا بخير قال ﷺ:"لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا"[٤].

١. انظر سبب نزول الآية في ابن العربي ، ابو بكر " أحكام القرآن " ٤٠٣/١

٢. صحيح البخاري كتاب الطب باب ما يذكر في الطاعون رقم ٥٣٩٦

٣. صحيح مسلم كتاب الجنائز باب في تحسين كفن الميت رقم ٩٤٣

٤. صحيح البخاري كتاب الجنائز باب ما ينهى من سب لأموات رقم ١٣٢٩

### ٣.المطلب الثالث: الكرامة وحماية العقل .

العقل الإنساني جوهرة فريدة أودعها الله في الإنسان تكريما له يتأمل به بديع خلق الله، ويحكم به على فاسد الأمور من صالحها بأمر الله، ويتَّبِع به طريق الهداية ويتجنب به طريق الغواية، ومن ثم كان العقل من أبرز وأهم ركائز الكرامة إذ بدون عقل بصير، وحرية مسؤولة، ينتج عنهما حق الاختيار الرشيد، يرتفع أساس المحاسبة ومعيار المفاضلة[١]، وإزاء هذه المكانة السامية للعقل قصد القرآن الكريم إلى مدحه وتكريمه قال تعالى:" قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ" الزمر:٩، كما نعى وذم من يعطلون عقولهم أو ينحدرون بها إلى مسار الانحطاط والبهيمية وقال تعالى:" إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ" الأنفال:٢٢، وقال تعالى:" وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ" الأعراف:١٧٩.

ومن مظاهر تكريم الاسلام للعقل أن وضع له منهجية واضحة وضوابط تحدد له مساره الذي يحق له السير فيه طلباً للمعرفة وأداء لدوره الذي خلق من أجله، وإعفاء له مما لا طاقة له به، وفي الوقت ذاته عصمه من التطرف ذات اليمين أو ذات الشمال، أو التطاول على عظمة الخالق – سبحانه – أو الخضوع للشهوات المذلة لكرامة الإنسان. ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى:" سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ"

---

١. النمر، السيد حسن العبد الله، ورقة عمل بعنوان " قيمة الكرامة بين الفهم البشري وبصائر الوحي" مقدمة إلى المؤتمر الدولي بعنوان ( قيمة الكرامة آفاقها التشريعية وتجلياتها الإنسانية رؤية قرآنية) .بتصرف.

الأنعام:١٤٨، وقال تعالى:" أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ" الأنبياء:٢٤ فهذا ضابط مهم في عدم قبول أي فكرة إلا بدليلها والتثبت منها. كما حذر الاسلام العقل أن يقحم نفسه في قضية لا يحسن الخوض فيها قال تعالى:" وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" الإسراء:٣٦ ،وأمره أن يتلقى معارفه من مصادرها الصحيحة[١] قال تعالى:" فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" الأنبياء:٧ ، وحذره من الوقوع في الشهوات المذلة لكرامة الإنسان كتعاطي الخمور مثلا فقال تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ" المائدة:٩٠-٩١.

وأهم ما يميز هذه المظاهر أن الإسلام أقرها ضمن مبادئ الوحي المقدس وأنه لا تعارض بين الوحي والعقل؛ لأن الوحي قد رسم المعالم لسير العقل في مسار الوسطية التي ميز الله بها هذه الأمة الشاهدة على الأمم السابقة فكان من أهم خصائص منهج الوسطية العقلية ما يلي :

**أ – تقديم الشرع على العقل .**

يستمد العقل المسلم وسطيته من علم الوحي، ويرجع الانحراف الفكري الذي وقع فيه أهل الكلام والفلسفة إلى أنهم جعلوا العقل من أصول العلم وجعلوا الوحي تابعاً له بل بعضهم حكمه في نصوص الوحي ذاتها، فلا يقبل منها إلا ما أراده العقل ووافقه في حين أن الإيمان يرتبط بالعقل في العقيدة الإسلامية ارتباطاً وثيقاً حيث تتضافر الآيات القرآنية موجهة خطابها لقوم يعقلون، ويؤمنون، ويضرب الأمثال لقوم يتفكرون، ويفقهون.. الخ؛ لأنهم هم

١. الحدري ، خليل عبد الله " منهجية التفكير الموضوعي في القرآن الكريم" ص ٢٤٥ وما بعدها بتصرف.

المرجوون للنظر في آيات القدرة الإلهية، وتدبر نظام الكون المحكم"[١] وفي ظل هذه المنهجية التي تحقق الوفاق بين العقل والوحي يسلم المجتمع من الانحراف باسم العقل، ولا للانحراف باسم الدين[٢].

**ب- وسطية النظر العقلي وميادينه :**

حيث إن منهج النظر العقلي في الإسلام منهج شامل، ومرن لا يخضع لتقلبات الزمان والمكان؛ لأنه مجرد طريقة أو أداة للبحث، ومن ثم يعلو على المتغيرات النسبية ويظل ساري المفعول في أي عصر أو أي بيئة"[٣] . لذا فالإسلام يوجه العقل إلى الميادين التي يستطيع السير فيها، ويعفيه مما لا يطيق وعلى سبيل المثال العقل يعجز عن تصور الذات الإلهية شكلاً أو حيزاً، فماذا يجدي عليه التفكير في ذلك ؟!

لذا فإن اقتحام العقل منفرداً في هذه الميادين يعتبر انحرافاً عن وظيفته وميادينه التي يراها"[٤]

كما توجهت عناية القرآن بالعقل إلى التحذير من الآفة الكبرى التي أفسدت العقل، وأطفأت نوره، وعطلت عمله، وهي الوثنية التي كانت تمارس تأثيراتها الظلامية على عقل الإنسان، وتهبط به إلى ما دون قيمته التي كرمه الله بها [٥].وامتدت حركة التحرير هذه لتشمل كل ما يعطل العقل، ويسيطر عليه من معتقدات فاسدة وأفكار بالية مثل الخوف من البرق والرعد والعواصف والظلام... وما إليها.

كما حثه على السير في الأرض لربط المقدمات بالنتائج، والأسباب

---

١. بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن" الشخصية الإسلامية" ص ١٤٨ .

٢. الزهراني، عبد الله" الوسطية في التربية الإسلامية" ص٢٣١ ما بعدها .

٣. خليل ، عماد الدين "مدخل إلى إسلامية المعرفة " ص ٣٢ .

٤. أبو العينين، علي" فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم" ص ١٦٩.

٥. الإبراهيمي ،مُحَمَّد " آثار الشيخ مُحَمَّد البشير الإبراهيمي"٣٥٨/٤ ، وانظر: وظيفة الاستخلاف ( مرجع سابق ) ص٩٨-١٠٤.

بالمسببات والنظر في تعاقب الحوادث واقترانها، ليتحرر من فكرة فوضى العالم التي كانت تصور له الكون غامضاً مجهولاً خاضعاً للصدفة العمياء [١].

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يشد انتباهه هذا الكم الهائل من الآيات القرآنية التي تدعو الإنسان وتلح عليه ليستعمل عقله، ويستنفر حواسه ويستغلها لتنمية قدراته العقلية، ودفعها نحو النظر، والتفكير، والبحث والتأمل، لتصل بالمشاهدة والملاحظة والاستنباط إلى حقائق الكون وسنته وقوانينه، وتفتح له مجالات واسعة للإعمار، والإنجاز الحضاري مثل قوله تعالى :" أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)" الحج:٤٦"[٢]، من هنا كانت دعوة القرآن الكريم إلى مسح التاريخ البشري، واستعراض حوادثه ميداناً خصباً للدراسة والاختبار، وتبصرة واعية للوقوف على السنن والنواميس التي تخضع لها الحركة التاريخية في سيرها وتطورها، وانتقالها من حال إلى حال بالنظر الدقيق في المقدمات والأسباب التي أنتجت الأحداث، ومقارنتها بالمصائر التي آلت إليها الشعوب والأمم، قال تعالى:" سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا " الأحزاب:٦٢. ولولا هذا الهدف البعيد لما كان للدعوة القرآنية إلى السير في الأرض أي معنى[٣]. وهو إذ يدفع الإنسان إلى معرفة هذه السنن والقوانين– فضلا عن تكريمه والعناية بصلاحه؛ إنما يحثه على استغلالها في حركته الحضارية ليتمكن من تجاوز مواقع الخطأ التي تسببت في تدمير الأمم السابقة وخراب عمرانها، قال تعالى:" قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ" آل عمران:١٣٧.

---

١. وظيفة الاستخلاف ( مرجع سابق ) ، ص ١٠٤.

٢. آثار الشيخ محمد الإبراهيمي( مرجع سابق) ٢٦٠/١ .

٣. وظيفة الاستخلاف ( مرجع سابق ) ص١١٢-١١٣. بتصرف . وانظر:حسنة ، عمر عبيد" الوراثة الحضارية، بيروت ط المكتب الإسلامي، سنة ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٥م ، ص٥٦ **وما بعدها**

**٤. المطلب الرابع : الكرامة وحماية النسل والعرض.**

عبر بعض العلماء عن النسل بالبُضع وعبر عنه ابن جزي بالنسب[١] وقد اعتبر الإمام الشوكاني حفظ الأعراض مقصدا سادساً من مقاصد الشريعة، ثم قال " فإن عادة العقلاء بذل نفوسهم وأموالهم دون أعراضهم وما فدّي بالضروري أولى، وقد شرع في الجناية عليه بالقذف الحد"[٢]. وفي حفظ العرض حفظ للكرامة الإنسانية فهو جزء من حفظ النفس حيث منع الشارع الاعتداء عليها بالقذف أو السب، وغير ذلك من كل أمر يتعلق بالكرامة الإنسانية أو بالحد من نشاط الإنسان من غير مبرر له[٣].وفي الواقع فإن العِرض داخل في إحدى الضروريات بوجه من الوجوه، فيمكن إدخاله في حفظ النسل لأن حفظ النسل إنما يحصل بالزواج الشرعي، وفي الزواج الشرعي حفظ للعرض، وإذا اعتدي على النسل لزم منه الاعتداء على العرض وكذلك النسب ولما كان للعرض هذه المنزلة العظيمة، فإن الإسلام قد اعتنى بحفظه عناية فائقة، فوضع القواعد والضوابط لعدم الاعتداء على أعراض الناس بتشديد العقوبة على من يقع بأعراض المسلمين. ومن مظاهر حفظ العرض في الشريعة الإسلامية ما يلي:

١ – تحريم كل عمل أو قول يراد منه الاعتداء على عرض المسلم بغير حق، مثل الزنا والقذف والسب والتشهير والتجريح... إلى غير ذلك من وسائل الاعتداء المحرمة، ولهذا جعل الإسلام للعرض حرمة كحرمة الدين والنفس

١. الكلبي ، احمد بن جزي " تقريب الوصول إلى علم الأصول" ص٤١٣

٢. الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول" ص٣٦٦

٣. الدلو، فلاح سعد" الاعتداءات القولية على عرض المسلم – دراسة فقهية مقارنة "رسالة ماجستير مقدمة لكلية الشريعة بالجامعة الاسلامية بغزة – فلسطين ،١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦ م ص ٢٠

والمال، ويدل على ذلك قوله تعالى:" وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا" الاسراء:٣٢ وقال تعالى:" وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" النور:٤ وقال تعالى:" وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا" الأحزاب :٥٩

٢ الأمر بستر العورات سداً لذريعة قذف الأعراض، حيث أمر الله النساء بالحجاب والتستر حفاظا على كرامتهن وعفتهن قال تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا" الاحزاب:٥٩

٣ وجوب المحافظة على أعراض النساء، حيث أوجب الإسلام على الرجال أن يحافظوا على أعراض نسائهم لدرجة أن من يقتل مدافعاً عن عرض أهله يعتبر شهيداً، فعن سعيد ابن زيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد.."[1]الحديث

٤ سد التشريع الاسلامي باب كل ما يؤدي الى الزنا قال تعالى:" قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ" الاحزاب:٣٠

٥ فرض الاسلام حدا للزنا قال تعالى:" الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ" النور:٢

١. الحديث أخرجه البخاري كتاب المظالم ، باب ٣٣ من قتل دون ماله ٢/٧٤٤ رقم ٢٤٨١

**٥.المطلب الخامس: الكرامة وحماية المال .**

المال وسيلة الإنسان الأساسية في تأمين العيش الهانيء والحياة الكريمة، وهو أشد الأشياء تعلقاً بالإنسان قال تعالى:" وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا " الفجر:٢٠، وقال تعالى :" زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ" آل عمران :١٤، لذا جاء الإسلام منذ أربعة عشر قرناً من الزمان وأكثر فأقر كلاً من الملكية الخاصة والملكية العامة، ولكنه على خلاف النظم والقوانين الوضعية لم يطلقهما ، وإنما وضع عليهما قيوداً عديدة، تنظيما لمسارهما في الحياة وضمانا لحياة كريمة للإنسان ومن ثم فقد أحالهما إلى مجرد وظيفة شرعية "اجتماعية"[١] تضمن مصلحة الجماعة فليس موقفه من هذا موقف الحارس فقط، وإنما هو موقف الاعتراف والحماية من جهة والتقييد والتنظيم من جهة أخرى ، ١. فمن حيث النشأة: لابد أن ينشأ المال بسبب شرعي فإن الإسلام لا يعترف به إن نشأ بخلاف ذلك ، قال تعالى:" لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ " النساء:٢٩،وقال ﷺ: "كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"[٢]، بل يأمر بنزعه من يد حائزه ورده إلى مالكه الأًصلي.

٢. من حيث نمائه: حدد الإسلام سبل المال ونمائه بالقيود والتصرفات المشروعة فلم يجز إنماؤه من طريق الربا أو بيع الخمور والمخدرات أو نحو ذلك، قال تعالى:" وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا" البقرة:٢٧٥ ، كما أوجب في حقه الملكية

١. الفنجري ، محمد شوقي "الوسطية في الاقتصاد الإسلامي" ص ٣٦ .

٢. سنن الترمذي ،كتاب الديات، باب من قتل دون ماله فهو شهيد، رقم ١٤٢٠ ، وصححه

قدراً معيناً لمصلحة الجماعة يتمثل في الزكاة، والضرائب، والإنفاق في سبيل الله، والوصية فيما لا يتجاوز الثلث[١].

٣. من حيث استهلاكه، إذ قيده بالاعتدال في الإنفاق دون إسراف أو تقتير، قال تعالى:" وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا" الفرقان:٦٧ ، وأرشد الإسلام إلى حسن استعمال الأموال والتصرف بها، وحرَّم الغش والاحتكار والإسراف والتقتير في الإنفاق. ونهى عن بيع الإنسان ما ليس عنده، وبيع الإنسان على بيع أخيه.....ورخَّص في بعض العقود التي لا تطبق عليها الأسس العامة في العقود، فشرَّع السَلم، وهو بيع المعدوم. وأجاز الاستصناع والمزارعة والمساقاة، لرفع الحرج عن النَّاس في التعامل[٢]

٤. وقيده بجواز نزعه عند الضرورة للمصلحة العامة مع تعويض صاحب الملك تعويضاً عادلاً[٣].

٥.شرع الإسلام حد السرقة حفاظا على أموال الناس قال تعالى:" وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" المائدة:٣٨، فهل ثمة تكريم بعد ذلك؟!

١. الحقيل ،سليمان" حقوق الإنسان في الإسلام" ص ٥٧ .

٢. فرمزي ، فتحي جوهر " مبدأ تكريم الإنسان في ضوء أحكام التوراة والإنجيل والقرآن " العراق، جامعة صلاح الدين ، مجلة كلية العلوم الإسلامية العدد الثامن ، ٢٠١٤ م ص ١٩ وما بعدها .

٣. المرجع السابق نفسه.

**خامسا: الخاتمة: وفيها خلاصة البحث ونتائجه والتوصيات .**

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد أن انتهينا من هذه الدراسة المباركة يمكننا أن نلخص الأفكار الرئيسة التي عالجها البحث فيما يلي:

١.عني البحث ببيان أهم المقاصد العامة للقرآن الكريم وهو صلاح الإنسان وبيان مدى العلاقة الوطيدة بين صلاحه وحفظ كرامته.

٢.اهتم البحث باستقراء وتحليل دلالات الكرامة ومفهومها من خلال نصوص القرآن الكريم.

٣.أفصح البحث عن أهمية الكرامة الإنسانية في بناء العمران وحضارة الإنسان.

٤.بيان مدى العلاقة الوثيقة بين الكرامة الإنسانية وتحقيق المبادئ الإسلامية، وحفظ الضرورات الإنسانية.

٥.مناقشة قضية انتفاء الكرامة الإنسانية عن النفس الكافرة أ م لا .

**نتائج البحث:**

أ. الكرامة الإنسانية في الأصل قيمة محورية تتعلق بذات الإنسان بقطع النظر عن دينه أو جنسه أو لونه...الخ.

ب. الكرامة نوعان: ١– كرامة ذاتية يتصف بها كل أحد من البشر أيا كان دينه أو فكره ب– كرامة مكتسبة يتصف بها المؤمنون الذين وافقت فطرتهم منهج وحي السماء فحققوا الغاية من خلقهم واستخلافهم في الأرض وهو تحقيق معنى العبودية لله تعالى وحده.

ت. الكرامة الإنسانية منحة إلهية محضة فلا دخل للمخلوق في منحها لأحد أو منعها عنه.

ث. الكرامة مرتكز أساس وحجر الزاوية لتحقيق المبادئ الإنسانية.

ج. المحافظة على الكرامة الإنسانية مقصد ضروري من مقاصد التشريع الإسلامي، إذ لا يمكن بدونها أن تتحقق الضرورات الخمس ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ح. التقوى والإيمان بالله تعالى هما المعيار العقدي والأخلاقي لتحقيق الكرامة الإنسانية المطلقة.

**توصيات البحث:** وفي الختام لا يسعني إلا أن أهيب بالمؤسسات التعليمية والصروح الدعوية في كافة أنحاء العالم أن تولي اهتماما خاصا ومزيدا من الدراسة العميقة بمعضلة الكرامة الإنسانية حيث أصبحت الكرامة في عصرنا الحاضر من المفاهيم الملتبسة في مصدرها ومستحقيها.

## مراجع البحث


١. ابن خلدون ،احمد" مقدمة ابن خلدون" بيروت، ط: دار البيان، د.ت
٢. ابن عاشور ، مُحَمَّد الطاهر " التحرير والتنوير " تونس ط دار السداد التونسية ٢٠٠٢ م
٣. ابن عاشور ، مُحَمَّد الطاهر " مقاصد الشريعة الاسلامية " تحقيق مُحَمَّد الميساوي ، عمان، ط دار النفائس ٢٠٠١ م
٤. ابن عبد السلام ، العز " قواعد الأحكام في مصالح الانام " تح محمود التلاميذ الشنقيطي ، بيروت ط د ار المعارف ٢٠٠٤م
٥. ابن فارس ، احمد بن زكريا "مقايس اللغة" القاهرة ، ط دار الحديث ٢٠٠٤ م ط١
٦. ابن كثير ، عبد الله " تفسير القران العظيم " الرياض –ط دار طيبة ٢٠٠٢ م
٧. ابن منظور، جمال الدين " لسان العرب "بيروت ط دار صادر (د.ت )
٨. ابو زهرة ، مُحَمَّد " تنظيم الإسلام للمجتمع " القاهرة ،ط دار الفكر العربي للنشر والتوزيع (د.ت).
٩. آثار الشيخ مُحَمَّد البشير الإبراهيمي" الجزائر، ط ش . و. ن. ت ط١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .
١٠. أزمة العقل المسلم د/ عبدالحميد أبو سليمان، ص ١١٥ط دار الهدى، عين جليلة ، الجزائر، سنة ١٩٩٢م.
١١. إطفيش "مُحَمَّد يوسف "تيسير التفسير" سلطنة عمان ط وزارة الثقافة ١٩٩٥ م .
١٢. أنيس ، ابراهيم وزملاؤه " المعجم الوسيط " القاهرة ، ط مجمع اللغة العربية ١٩٩١م .
١٣. البقاعي ، نظم الدين " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، بيروت ط دار الكتاب الاسلامي ١٤٠٤ هـ ١٩٩٥ م
١. بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن" الشخصية الإسلامية" بيروت ، ط: دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٦م .
١٤. البوطي ،مُحَمَّد سعيد رمضان " منهج الحضارة الإنسانية في القرآن "سوريا ط: دار الفكر، ط١ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م
١٥. التويجري ،عبد العزيز بحث "الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية" مقدم إلى طهران، المؤتمر الحادي عشر للوحدة الإسلامية بعنوان " التقريب بين المذاهب الإسلامية"١٤١٩ هـ
١٦. الجوهري ،احمد "الصحاح" بيروت ط: دار العلم للملايين ، د.ت.
١٧. الحامدي ،عبد الكريم " مقاصد القرآن من تشريع الأحكام " بيروت ط دار ابن حزم للطباعة والنشر ط١٢٠٠٨ م.

٢. الحدري ، خليل عبد الله " منهجية التفكير الموضوعي في القرآن الكريم". مكة المكرمة ط دار عالم الفوائد، ط:١، ١٤٢٥هـ. ٢٠٠٥م .
١٨. حسنة ، عمر عبيد" الوراثة الحضارية، بيروت ط المكتب الإسلامي، سنة ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٥م
١٩. حسين، مُحَمَّد" الإسلام والحضارة الغربية" بيروت ط: دار الإرشاد، ١٣٨٨هـ .
٢٠. الحليبي ، فيصل بن سعود " مقاصد المكلفين عند الأصوليين " الرياض ، مكتبة الرشد ،٢٠٠٩ م .
٢١. خليل ، عماد الدين " آفاق قرآنية" بيروت ، ط: دار العلم للملايين، ط١، ١٩٧٨م
٢٢. خليل ، عماد الدين " التفسير الإسلامي للتاريخ " بيروت ط دار العلم للملايين ط٥، ١٩٩١ م .
٢٣. الدلو، فلاح سعد" الاعتداءات القولية على عرض المسلم – دراسة فقهية مقارنة "رسالة ماجستير مقدمة لكلية الشريعة بالجامعة الاسلامية بغزة – فلسطين ،١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦ م
٢٤. ديورانت ، ويل " قصة الحضارة " القاهرة ط مؤسسة اقرأ ٢٠٠٩ م .
٢٥. الرازي ، مُحَمَّد بن الحسن (فخر الدين) " التفسير الكبير " بيروت ط دار الكتب العلمية ١٤٢٥ هـ –٢٠٠٥ م
٢٦. الريسوني ، احمد " نظرية المقاصد عند الشاطبي " الرياض– ط ونشر الدار العالمية للكتاب الاسلامي ، والمعهد العالمي للفكر الاسلامي ط ٤ ١٤١٦ هـ، – ١٩٩٥ م
٢٧. الزحيلي ،مُحَمَّد " موسوعة قضايا إسلامية معاصرة( مقاصد الشريعة)" بيروت ط دار المكتبي (د.ت) .
٢٨. زرمان ، مُحَمَّد "وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم دلالاتها وأبعادها الحضارية"،الاردن ط: دار الاعلام ، ١٤٢٣هـ –٢٠٠٢م.
٣. الزهراني، عبد الله" الوسطية في التربية الإسلامية". مكة المكرمة ،ط: دار طيبة الخضراء،ط١ ١٤٢٤هـ. ٢٠٠٣م.
٢٩. السبزاوري، مُحَمَّد "الجديد في تفسير القرآن المجيد"، بيروت ط دار التعارف ط١ ( د.ت )
٣٠. السنيدي، فهد" حوار الحضارات المحددات والضوابط في ضوء الكتاب والسنة " ، بحث مشارك به في كرسي الأمير سلطان للدراسات الإسلامية المعاصرة، الرياض ط: مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ١٤٣١هـ.
٣١. الشاطبي، أبو إسحاق ابراهيم ،"الموافقات" بيروت ، ط المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ. ٢٠٠٣م.

٣٢. شفيق، منير "الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات تونس ط: دار البرق للنشر،١٩٩١م .
٣٣. الصدر ،باقر "خلافة الانسان وشهادة الانبياء" بيروت ط دار التعارف ١٩٧٩ م .
٣٤. الصدر، السيد موسى" الاسلام وكرامة الإنسان " مقال على شبكة الانترنت : http://www.islamology.com/ بتصرف .
٣٥. الصدر، مُحَمَّد الباقر" خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء" سلسلة الإسلام ... رقم ٣ ، ايران ،مطبعة الخيام رقم ١٣٩٩هـ.
٣٦. عثمان ،حامد مُحَمَّد" الحرية في ضوء القرآن الكريم –دراسة موضوعية" مصر، ط مجلة كلية الشريعة والقانون فرع جامعة الأزهر بطنطا،٢٠١٤ م
٣٧. العضراوي ،عبد الرحمن "مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي" بيروت ،ط مركز نماء للبحوث والدراسات ٢٠١٥ م
٣٨. عيسى، إبراهيم "كرامة الإنسان إحدى مقومات البناء الحضاري الإسلامي "القاهرة ط وزارة الأوقاف –المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ١٤١٩هـ ١٩٩٨ م العدد ٣٦.
٣٩. الغزالي، مُحَمَّد "الجانب العاطفي في الإسلام "مصر- الاسكندرية ط دار الدعوة ١٩٩٠ م .
٤٠. الفراهي ، عبد الحميد " دلائل النظام " الهند ط المطبعة الحميدية ١٣٨٨ هـ.
٤١. فرمزي ، فتحي جوهر " مبدأ تكريم الإنسان في ضوء أحكام التوراة والإنجيل والقرآن " العراق، جامعة صلاح الدين ، مجلة كلية العلوم الإسلامية العدد الثامن ، ٢٠١٤ م .
٤٢. الفنجري ، مُحَمَّد شوقي "الوسطية في الاقتصاد الإسلامي" .
٤٣. قائد، نشوان عبده خالد "دور الاستقراء في إثبات مقاصد القرآن الكريم عند الطاهر بن عاشور" اطروحة دكتوراة مقدمة الى قسم الدراسات القرآنية بكلية معارف الوحي والعلوم الانسانية –الجامعة الاسلامية العالمية بماليزيا .
٤٤. ١٩٩٢، ط٥.
٤٥. القرطبي ، احمد بن عبد الله " الجامع لأحكام القران ". القاهرة ،ط دار الحديث ٢٠٠١ م
٤٦. القيسي ، إياد عبد اللطيف "تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية " السعودية – الدمام ط دار ابن الجوزي ،١٤٣٢ هـ
٤٧. مجلة الإنسان، خلافة الإنسان بعين الوحي والعقل. د/ عبدالمجيد النجار، ع باريس ١ مارس ١٩٩١م .

٤٨. مسند أحمد بن حنبل ٣٢١/٢، ط: المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ-١٩٨١م
٤٩. الميداني، عبدالرحمن حسن" الحضارة الإسلامية " ،دمشق ط: دار القلم، ١٤١٨هـ .
٥٠. الميلاد، زكي" المسألة الحضارية بيروت ،ط المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦م .
٥١. النجار ،عبد المجيد "خلافة الإنسان بين الوحي والعقل "فرجينيا ، ط ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،ط٢ ١٩٩٣ م.
٥٢. النمر، السيد حسن العبد الله، ورقة عمل بعنوان " قيمة الكرامة بين الفهم البشري وبصائر الوحي" مقدمة إلى المؤتمر الدولي بعنوان ( قيمة الكرامة آفاقها التشريعية وتجلياتها الإنسانية رؤية قرآنية) على موقع : https://wamazati.blogspot.com .
٥٣. وهبة ، مراد " المعجم الفلسفي" القاهرة ط دار قباء الحديثة ،٢٠٠٧ م
٥٤. اليوبي، مُحَمَّد "مقاصد الشريعة وعلاقتها بالأدلة الشرعية" الرياض ط، دار الهجرة للنشر والتوزيع ١٤١٨هـ ط١.